دكتورة منيرة عبد المنعم كروان

العالم الآخر في المسرح الإغريقي



دار المعارف

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

تمثل دراسة الأدب الإغريقى ، بما لها من جاذبية خاصة وبما توفره من متعة البحث ، الجانب الأكثر تألقا وأهمية من جوانب الحضارة الإغريقية ، فالأدب الإغريقى الذى يتميز بالثراء والحيوية الدافقة يكشف عن جوانب عديدة ، ظاهرة ، وباطنة من جوانب تلك الحضارة الدافقة التى ما تزال تجتذب العلماء ، وتبهر أنظارهم وتستفز عقولهم فى كل المجالات .

ويلفت النظر أن العديد من الدراسات التى خرجت إلى الوجود فى مجال الأدب الإغريقى اهتمت بالتفاصيل والجزئيات ، إذ انكب عدد كبير من الباحثين والعلماء على التراث الأدبى الإغريقى ، واهتم كل منهم بدراسة جزئية تتناول شاعرا بعينه ، أو مسرحية ، أو شخصية من شخصيات المسرح الإغريقى . واهتم فريق آخر بعقد المقارنات ، أو البحث فى المشابهات والاختلافات بين شاعرين .. وعلى الرغم من أهمية هذه الدراسة التى تهتم بالجزئيات ، فإن الحاجة تبقى دائما تدعو إلى البحث والدراسة لتقديم صورة كلية تتناول الأدب الإغريقى فى إطار اجتماعى أو سياسى ، أو تعالج فكرة عامة ، أو عقيدة ، أو اتجاها اجتماعيا تعكسه الأعمال الأدبية الإغريقية .

ولقد ارتاد عدد من العلماء والباحثين طريق البحث عن الفكرة العامة ، أو التوجه الاجتماعى والسياسى للإغريق من خلال دراسة نصوص التراث الأدبى الإغريقى وكانت دراساتهم وما تزال ، بمثابة علامات على الطريق .

ولقد اخترت لنفسى هذا النمط من الدراسة ، إذ لفت نظرى أن هناك فكرة عامة تظهر فى كتابات العديد من العلماء والباحثين المحدثين ، لاسيما عندما يعقدون المقارنة بين كل من الحضارة المصرية القديمة والحضارة الإغريقية . هذه الفكرة العامة مؤداها أن المصريين أهملوا الحياة الدنيا ، ووجهوا اهتمامهم إلى الحياة الأخرى ، أى حياة ما بعد الموت ، على حين كان الإغريق على العكس من المصريين ، يهتمون بحياتهم الدنيوية غير مبالين بمصير الإنسان بعد الموت .

والواقع أن هذه الفكرة العامة تحمل ظلما فادحا لكل من المصريين والإغريق على السواء فمن غير المعقول ، أو المقبول القول بأن المصريين القدماء قد أهملوا شأن دنياهم ، على الرغم من الآثار المادية واللامادية الماثلة فى عالم اليوم والتى تشهد لهم بالسبق فى كثير من المجالات التى تيسر حياة الإنسان فى هذا العالم ، من زراعة ورى ، وطب وفلك ، وموسيقى ورياضة ، وتنظيم سياسى وقدرة عسكرية ... . وما إلى ذلك .

كذلك فإن القول بأن الإغريق لم يبالوا بمصير الإنسان بعد الموت فيه تقليل من شأن الحضارة الإغريقية . ذلك أن السؤال المرتبط بحياة الإنسان ووجوده وما بعد هذه الحياة سؤال شغل البشر جميعا . وكلما ازداد وعى الإنسان وارتقت حضارته زاد إلحاحه فى الحصول على إجابة مناسبة لهذا السؤال .

ومن طبيعة الأمور أن يتفاوت مدى اهتمام الحضارات بعالم ما بعد الموت . لكن الأمر المؤكد أن الأدب – الذى يحمل التاريخ الوجدانى لكل شعب – يحمل ملامح الصورة التى رسمتها حضارة بعينها لعالم ما بعد الموت .

وهذا البحث الذى أتقدم به محاولة لتجسيم ملامح الصورة التى رسمها المسرح الإغريقى للعالم الآخر . وقد حاولت قدر جهدى أن أتتبع نصوص المسرحيات الإغريقية التى نجت من عوادى الزمان ، منذ البداية المبكرة ، وحتى مسرح يوريبيدس . كما حاولت فى الوقت نفسه تقصى المؤثرات الأجنبية على صورة العالم الآخر فى المسرح الإغريقى .

وقد نهجت فى هذه الدراسة نهجا موضوعيا بحيث يعالج كل فصل من فصولها موضوعا قائما بذاته داخل الإطار العام للبحث كله . وقدمت لهذه الفصول بمقدمة عرضت للخطوط العريضة لموضوع « الموت فى الفكر الإغريقى » هذه المقدمة تناقش موقف الإغريق من الموت ، وتصورهم للحياة الأخرى بعد الموت ، سواء انعكس هذا الموقف فى الشعر الملحمى ، أو فى الشعر التعليمى أو الشعر الغنائى . وكيفية تبلور هذا التصور فى المسرحيات الإغريقية .

أمـــا الفصل الأول فيتناول موضوع « أهمية الدفن وطقوسه » ، وفيه تتضح الأهمية التى أضفاها الإغريق القدماء على الدفن باعتباره ضمانا لاستقرار الروح فى العالم الآخر . كذلك تناول هذا الفصل طقوس إعداد الميت للدفن ، ومظاهر الحداد التى تعارف عليها المجتمع الإغريقى ، ومدة هذا الحداد ، كما عالج هذا الفصل

مدى أهمية القبور لدى الإغريق والقداسة التى أسبغوها على القبور ، فضلا عن القرابين التى اعتادوا تقديمها للموتى ، وأنواع هذه القرابين ومناسباتها .

وفى الفصل الثانى حاولت تجسيع ملامح « صورة العالم الآخر » منذ العصر الهومرى مرورا بتطور الصورة فى الشكل الذى ظهرت به فى العقيدة الأورفية/الفيثاغورثية التى تأثرت عموما بعقائد الشرق ، والعقيدة المصرية على وجه الخصوص . وقد تركزت الدراسة فى هذا الفصل على أهم الآلهة التى تصور الإغريق أنها ارتبطت بالعالم الآخر مثل زيوس وهاديس وبرسيفونى وهرميس ، والإيرينيات ، أو ربَّات الانتقام ، وكيف جسدتهم جميعا نصوص المسرحيات الإغريقية .

وتناول الفصل الثالث موضوع « محاكمة الموتى وحياة ما بعد الموت » وقد بينت الدراسة فى هذا الفصل أن إيمان الإنسان بحياة ما بعد الموت إيمان قديم ، فمنذ العصر الهومرى اعتقد الإغريق أن الإنسان يتعرض بعد الموت لنوع من المحاكمة ، وتطورت هذه الفكرة بمرور الزمن فظهرت الأليوسية ، ثم الأورفية والفيثاغورثية التى أسهمت كثيرا فى إبراز ملامح التصور الإغريقى لحياة ما بعد الموت ، وأسس محاكمة الموتى فى العالم الآخر . بيد أن ما يلفت النظر حقا أن « محاكمة الموتى » فى التصور الإغريقى ظلت متوارية خلف ضبابية الغموض ، ولم يكن لها ذلك الحظ من الوضوح والتحديد الذى ميز الفكرة المصرية القديمة .

أما الفصل الرابع والأخير من هذه الدراسة ، فقد تناولت فيه موضوع « العلاقة الجدلية بين عالم الأحياء والعالم الآخر » . وقد كشف هذا الفصل عن العلاقة القوية التى أقامها العقل الإغريقى بين عالم الأحياء وعالم الموتى – إذ كان الموتى أحيانا مصدر إزعاج ورعب وتخويف للأحياء ، كما أنهم فى أحيان أخرى كانوا مصدر خير وفير ونعم لهؤلاء الأحياء بشرط أن يراعوا حرمة قبورهم ويوقروهم . ولقد تصور الإغريق أن الموتى هم الذين يتعهدون بذور زراعاتهم بالرعاية لتخرج فى شكل محصولات وفيرة ينعم بها الأحياء . وفى الموروث الأسطورى الإغريقى ، الذى انعكس بشكل أو بآخر فى نصوص المسرح ، قام عدد من الأبطال المميزين برحلات إلى العالم الآخر وعادوا منه ثانية .

أما الخاتمة التى تلت فصول الدراسة الأربعة ، فقد تضمنت أهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة .

وتشير قائمة المصادر والمراجع إلى أننى اعتمدت بشكل أساسى على المصادر والنصوص الأصلية بشكل كامل فى تأكيد الفرضيات والأفكار التى طرحتها فى هذه الدراسة ، كما أننى استعنت بطائفة من المراجع والأبحاث التى كتبها المتخصصون والتى ساهمت فى توضيح كثير من الأفكار والآراء التى ناقشتها والله الموفق والمستعان .

د . منيرة عبد المنعم كروان

الهرم – سبتمبر ١٩٩٣

مقدّمة

الموت فى الفكر الأفريقى

منذ أن وعى الإنسان حقيقة وجوده فى هذا الكون ، أدرك أن الموت هو الحقيقة الوحيدة المؤكدة[١] . فهو النهاية الطبيعية والحتمية لكل حياة ، بل إن الآلهة أنفسهم لا يستطيعون دفع الموت بعيدا عن من هو عزيز لديهم حينما يحين أجله[٢] .

والموت عند هوميروس هو بصفة عامة انعدام تلك المميزات والخصائص التى تجعل الحياة جديرة بأن نحياها[٣] . فالإنسان مكون من جسد وروح ، وعند الموت تترك الروح الجسد وتذهب للعالم الآخر ، بينما يبقى الجسد ، الجزء المادى القابل للفناء ، فريسة لما قد يفعله به الأحياء سواء خيرا أو شرًا[٤] .

فبحلول الموت يتلاشى الإنسان بكل حيويته وفطنته وذكائه ، ولا يبقى سوى طيف لا حول له ولا قوة[٥] . وهو ماأفزع أخيليوس أشد الفزع وجعله يصرخ قائلا إن الحياة على الأرض ولو كانت قاسية ، لهى أفضل من الجلوس على كرسى الحكم فى مملكة الأشباح[٦] .

ولكن هذا النفور من الموت وعالمه لا يؤدى بالضرورة إلى الجبن وتجنب ملاقاة الموت بأية وسيلة ، على العكس من ذلك فإن هوميروس يمجد الشجاعة فى القتال ويعلى من شأن الموت فى ساحة الوغى[٧] . وما دام الموت هو النهاية المحققة والحتمية ، سواء للمتقاعس الذى لا يعمل شيئا وللبطل المقدام الذى ينجز الكثير[٨] . فمن الخير أن يموت الإنسان بطلا ، على أن تلصق به صفة الجبن والتخاذل حتى فى موته .

وفى قصيدة « أنساب الآلهة » يشرح هسيودوس قصة الكون والخليقة ويرى أنه فى البدء كانت الفوضى ، وأن الكون نشأ من زواج السماء والأرض ، وأن الكون مر فى بداية نشأته بحركة بطيئة ، لكنها متصلة ، من الفوضى إلى النظام[٩] .

ولقد قسم هسيودوس التاريخ خمس مراحل : أولها العصر الذهبى ، أى عصر السلام والكمال ، وفيه عاش الناس يرفلون فى السعادة ، وكانت الأرض تنتج الطعام للناس من تلقاء نفسها وكان أهل ذلك الزمان لا تدركهم الشيخوخة ، ثم ماتوا ، وكان موتهم أشبه

بنوم خال من الآلام . ثم خلقت الآلهة جيلا آخر هو العصر الفضى ، وهو أحط منزلة من العصر الأول ، وفيه عاش البشر إلى أن بلغ عمرهم مائة عام . ثم خلق زيوس جيلا آخر فى العصر النحاسى ، رجالا أعضاؤهم وأسلحتهم وبيوتهم من نحاس ، وحارب بعضهم بعضا فسلط عليهم زيوس الموت الأسود .

ثم عاود زيوس التجربة وخلق جيل الأبطال الذين حاربوا فى طروادة ولما مات هؤلاء سكنوا بأرواحهم الخالية من الهموم فى جزر الأبرار وجاء بعدهم عصر الحديد ، عصر الحزن والبغضاء لا راحة فيه لأحد من الأسى والإرهاق نهارا والهلاك ليلا .

هذه النظرة التشاؤمية[١٠] . التى قدمها هسيودوس فى « الأعمال والأيام » توضح بما لا يدع مجالا للشك أنه يرى أن البشرية تسير من سئ إلى أسوأ ، لكنها مع ذلك تمدنا ببعض النقاط الهامة حول تصور هسيودوس للموت وللحياة فيما بعد الموت .

فالموت مقترن عند هسيودوس ، كما هو فى الذهن الإغريقى عموما ، بالنوم ، ومن تحبهم الآلهة تجعل موتهم نوما هنيئا خاليا من الآلام . ولكن فى أحيان أخرى يكون الموت عقابا ينزله الآلهة بالبشر لسوء سلوكهم وفسادهم مثلما حدث فى العصر النحاسى .

إن حديث هسيودوس عن المصير فيما بعد الموت قاصر على الإشارة إلى جزر الأبرار وانتقال جيل الأبطال إليها بعد موتهم . أما بالنسبة لمصير الموتى العاديين فلم يشر إليه هسيودوس ، وقد يكون ذلك لتوافق تصوره مع تصور هوميروس .

وفى مواكبة التطور السياسى والاقتصادى والاجتماعى الذى طرأ على المجتمع الإغريقى تطور الشعر من الملحمى إلى التعليمى ثم إلى الشعر الغنائى وذلك لتزايد إحساس الفرد بذاته[١١] .

ومن أهم أشكال الشعر الغنائى الشعر الأليجى . ولقد نشأ الوزن الأليجى بإدخال تطوير على الوزن السداسى الملحمى وذلك لجعله مناسبا أكثر للغناء[١٢] .

ولقد كان كاللينوس من أول الشعراء الغنائيين الذين استخدموا الوزن الأليجى وله أبيات يحث فيها مواطنيه على الدفاع عن مدينتهم ضد الأعداء ، يقول فيها :

« إن موت رجل مقدام خسارة فادحة للناس جميعا
فهو جدير فى حياته أن يكون نصف إله

كما أنه يبدو فى أعينهم مثل البرج الحصين
إذ أنه بمفرده ينجز أعمالاً جديرة برجال عديدين »[١٣] .

وهذه الأبيات تحث على القتال والموت فى ساحة الوغى بشجاعة ، فلن يطمس الموت ذكر الأبطال الشجعان بل ستظل شجاعتهم وذكراهم فى قلوب أهل مدينتهم وسوف يبكونهم ويحزنون عليهم . وهو نوع من العزاء والسلوى .

ومع نهايات القرن السابع ق .م . ظهرت أليجيات ممنرموس الكولوفونى العاطفية ، وفيها يتغنى ببطولات إغريق آسيا الصغرى وكفاحهم ضد الليديين ، لكنه يكرس الجزء الأكبر منها للحديث عن الحب والشباب والتحسر على أيام البهجة والمرح التى ولت واقتراب الشيخوخة ومن بعدها الموت[١٤]

ومن أجمل ما كتبه ممنرموس عن الحياة والموت :

« إننا مثل الأوراق التى تكتسى بها الأشجار فى فصل الربيع المزهر والتى تنمو بسرعة فى ضوء الشمس ، إننا مثلها نستمتع بزهرة شبابنا والأقدار السوداء تتربص بنا : إحداها تدخر لنا فى الختام الشيخوخة الزاخرة بالمعاناة ، والأخرى تحمل لنا الموت ، وإن زهرة الشباب سريعة الزوال مثل ضوء الشمس الذى ينتشر على الأرض وعندما يذهب عنا ريعان الشباب فالموت الذى يحل بسرعة أفضل من الحياة[١٥] .

ورغم نغمة الحزن التى تسرى فى هذه الكلمات ، فإن ممنرموس يرى أنه من الخير أن يموت الإنسان فى سن معقولة نسبيا قبل أن يتجرع مرارة كئوس الشيخوخة وقبل أن يبلغ من العمر أرذله[١٦] .

وإذا ما انتقلنا إلى أشعار تيرتايوس الإسبرطى فسنجدها بحق تجسيدا للشخصية الإسبرطية ، لذا ظلت تُغنى حتى بعد مضى عدة قرون على وفاته[١٧] .

وتدور إحدى مقطوعاته الشعرية حول مفهوم الفضيلة ، وكيف يكون الرجل الفاضل فى حياته ومماته من وجهة النظر الإسبرطية . وتصور تيرتايوس للرجل الفاضل قريب إلى حد كبير من صورة هكتور كما رسمها هوميروس ، فهو رجل يعيش ويموت من أجل شعبه ومدينته ويصور الشاعر المكاسب التى تعود على الرجل الفاضل فى موته وفى حياته ، وهو يقدم الموت على الحياة ، مما قد يثير تعجب البعض ، لكن العالم C.M.Bowra يقول :

إن تقديم الموت على الحياة هو من الأمور الطبيعية بالنسبة لترتايوس الإسبرطى الذى يعتقد أن الموت فى سبيل الوطن أفضل من الحياة العادية[١٨] .

يقول تيرتايوس فى هذه المقطوعة الشعرية إن الرجل الفاضل إذا ما لقى حتفه دفاعا عن وطنه فإن ما سوف يجنيه فى موته سيكون عظيما .

« فسوف يرثيه الشباب والعجائز وسوف تبكيه المدينة كلها فى أسى عميق وسيبقى قبره وأبناؤه إعلاما يعرفهم جميع الناس وكذلك أولاده ، وأولاد أولاده ، ومن يأتون من بعدهم فلن تموت شهرته العظيمة أو اسمه وإنما سيظل خالدا ، حتى وهو فى باطن الأرض » .

إن سيرة الرجل الفاضل سوف تبقى إلى الأبد بين أهله ، وسوف يتردد اسمه على الدوام بين جدران مدينته . فهو سيبقى فى موته ، كما كان فى حياته ، منتميا إليهم ، وسوف يحتفظون بذكراه فى قلوبهم ، وهذا هو الخلود كما تصوره تيرتايوس .

وهو معنى قريب مما كتبه سولون فى أحد أشعاره عن موقفه من الحياة والموت إذ يقول :

« ليت الموت لا يلحقنى دون أن يذرف علىّ الدمع بل ليتنى عند موتى أترك لأصدقائى الآلام والنحيب »[٢٠] .

فهو يأمل أن يبكيه الأصدقاء ، وأن يشعروا بالحزن والأسى لفقده عندما يموت . وهو معنى يقترب مما كتبه تيرتايوس ، وإن كانت رغبة سولون مغرقة فى الذاتية ، بل فى الأنانية .

أما ثيوجنيس الميجارى الذى تنسب إليه الكثير من الأشعار الحكيمة ، فقد ازدهر حوالى عام ٥٤٠ ق .م ، ولقد كتب العديد من القصائد التى وجهها لصديقه الشاب كيرنوس .

ويرى ثيوجنيس أن قصائده تلك سوف تخلد صديقه كيرنوس حتى بعد موته ، ويخاطبه قائلا :

« عندما تهبط إلى أعماق الأرض المظلمة وتصل إلى مقر هاديس الزاخر بالأنين والأحزان فإنك حتى بعد هذا ، بعد أن تصبح فى براثن الموت لن تفقد شهرتك بل ستظل خالدا بين البشر وستحتفظ بشهرتك دائما ، ياكيرنوس ، عندما تجوب بلاد اليونان وجزرها »[٢١] .

ويؤكد ثيوجنيس هنا أن شعره يمنح أولئك الذين يمدحهم حياة بعد الموت . وهذا الخلود الذى يكفله الشعر ليس مجرد كلمة جوفاء، وإنما هو بعث حقيقى للذين يخلدهم الشعر ويمدحهم[٢٢] .

وفى بعض الأحيان يسود التشاؤم فى أشعار ثيوجنيس ، فهو لا يأمل فى الحياة الدنيا ولا فى الآخرة ويقول عن البشر :

« الأ يكونوا قد ولدوا قط هو أفضل ما كان ممكنا أن يحظى به أبناء الأرض من القدر . أما إذا ولدوا بالفعل فعليهم أن يمضوا بسرعة نحو أبواب هاديس ، ليرقدوا هناك فى القبر تحت كومة من تراب الأرض »[٢٣] . ولقد انعكست هذه النظرة التشاؤمية فى تراجيديات سوفوكليس حيث يقول[٢٤] :

« إن عدم القدوم إلى الحياة لأمر يخرس كل قول . ولكن ما دام المرء قد ولد فإن أفضل أمر يلى ذلك هو الرحيل عن هذا العالم بأقصى سرعة ممكنة » .

ومع نهايات القرن السادس ق .م . بدأ فن كتابة الأبجرامات فى الظهور وظل يتطور حتى وصل إلى أقصى ازدهار له إبان العصر السكندرى . والأبجرامة تخليد لذكرى أحد الأشخاص تنقش على قبره . وأقدم ما عثر عليه من الأبجرامات يرجع إلى نهاية القرن الثامن ق .م لكنه وجد على درجة من السوء لا تسمح بدراسته[٢٥] .

أما المثال الكلاسيكى للأبجرامات فهو ما كتبه Cleobulus على قبر ميداس : Midas

« أنا عذراء من البرونز موضوعة على قبر ميداس . وطالما تجرى المياه الرقراقة وتزدهر الأشجار الباسقة ، وتسطع الشمس المشرقة ، وطالما يرسل القمر ضياءه وتجرى الأنهار فى أوديتها ، ويفور البحر بأمواجه . فإننى باقية هنا على مقبرة هذا المستحق لدمع هتون ، وسأعلن للمارة أن ها هنا قد دفن ميداس » .

ولقد أسهم سيمونيديس فى تطوير وإثراء هذا الفن الذى نسب إليه[٢٦] . وينتمى سيمونيديس إلى جزيرة كيوس . ولقد ولد قبل منتصف القرن السادس ق .م . وعاش حتى سن متأخرة ، ولقد عاش بعض الوقت فى أثينا تحت حكم بيزستراتوس ، ثم انتقل ليعيش فى صقلية . وكتب سيمونيديس معظم أعماله فى القرن الخامس ق .م .[٢٧] .

ولقد نظر سيمونيديس إلى الموت على أنه كارثة يمكن أن تحل بالإنسان فى أية لحظة ومن ثم يجب أن يكون مستعدا لها[٢٨] .

ويشترك سيمونيديس مع معاصره الأصغر بنداروس فى نظرته التشاؤمية ، فحينما نظر بتأمل إلى الحياة وجد الموت حاضرا فى كل مكان وكل لحظة ، وراعه كيف تنتهى الحيوية والقوة والثروة فى لحظات ، فكتب[٢٩] .

« إن كل الأشياء تنتهى إلى خاربيديس المخيف[٣٠] حتى الفضائل الكبرى والثروة » .

ولقد تجلت كراهية سيمونيديس وفزعه الشديد من الموت فى استخدامه تعبير خاربيديس المخيف . ولقد ساعد على تقوية هذا الشعور تجاه الموت فى نفس سيمونيديس عدم انضمامه لأى من العبادات السرية مثل الأورفية وغيرها ، التى كانت تعد أتباعها بحياة سعيدة فى العالم الآخر وتنزع من نفوسهم الخوف من الموت[٣١] .

ولقد كتب سيمونيديس عن الإنسان والموت يقول :

« إن قوة البشر ضئيلة ، وأن ما يخططون له قد لا يسعهم تحقيقه . ففى حياتهم القصيرة لا ينالون سوى المتاعب ثم ينقض عليهم الموت الذى لا مهرب منه ، وبدون تمييز يساوى بين النبيل والوضيع »[٣٢] .

وفى أحد أشعاره التى يخاطب فيها كلياس بمناسبة موت صديقه ميجاكليس يقول سيمونيديس :

« كلما رأيت قبر ميجاكليس الهالك فإننى أشفق عليك ، أيها التعس كالياس ، لما كابدته » .

فالموت لا يثير فى نفس سيمونيديس سوى الحسرة والألم والحزن ، فلا أمل فيما يأتى بعده ولا تطلع لحياة أخرى .

ولقد برع سيمونيدس أكثر ما برع فى كتابة القبريات ، حتى أصبح هذا الفن ينسب إليه دون غيره[٣٣] .

ولكنه ، مع ذلك ، يسخر من أولئك الذين يحاولون تخليد أنفسهم سواء ببناء التماثيل الضخمة ووضعها فوق القبور ، أو بكتابة شواهد القبور الفخمة ، ويقول عنهم[٣٤] :

« من من أولئك الذين يثقون فى قدرتهم الذهنية
سيمدح كيلوبولوس من ليندوس
عندما يتحدى الأنهار الخالدة والزهور الربيعية اليانعة

ووهج الشمس الساطعة ، وأشعة القمر الفضية
ودرامات البحر العاصفة
يتحدى كل ذلك بشاهد قبر حجرى ؟
كل الأشياء أقل قدرا وقدرة من الآلهة
فهذا الحجر نفسه يمكن أن تسحقه أيد بشرية
وأحمق من ظن أن مثل هذا الحجر يخلّد ذكراه »[٣٦] .

فى حين تأخذنا الشاعرة الليسبية الرقيقة سافو من خضم النظرة السوداوية للموت ، والعالم الآخر . فهى تؤكد فى أشعارها أن كل من جنى شيئا من ورود بيريا (وتعنى بها الفنون) ، فسوف يخلد بعد موته وسيلقى مصيرا مشرقا فى العالم الآخر .

تخاطب سافو إمرأة جاهلة لم تعرف شيئا من الفنون فتقول لها إنها ستهيم فى العالم الآخر . مهملة غير مأسوف على موتها . أما سافو فستبقى أبد الدهر خالدة بفضل أغانيها التى ألهمتها إياها الآلهة[٣٨] . لذلك فإن سافو لا تخشى الموت ، بل إنها فى بعض اللحظات تتوق لملاقاته ، فعندما تشتد بها المحن ، وتضيق بها السبل لا تجد المهرب أو الخلاص سوى فى الموت ولقد عبرت عن هذه الرغبة بدرجة عالية من الصدق تجعل من يقرأ أشعارها يلمس رغبتها الأكيدة فى الموت »[٣٩] .

فقد كتبت سافو :[٤٠]

« إن رغبة فى الموت تتملكنى ، وأتشوق
لرؤية شواطئ أخيرون الندية
المغطاة بأزهار اللوتس » .

ومن المحتمل أن سافو كانت تأمل فى أن تلقى نفس مصير أورفيوس وأن تسكن السهل الألوسى بعد موتها ، وتبقى خالدة فى ذاكرة الزمان[٤١] .

أما الشاعر أناكريون الذى ولد عام ٤٧٠ ق .م ، والذى كتب العديد من الأشعار الجميلة التى تمتاز بسلاسة لغتها ، فقد تملكته مشاعر الكراهية تجاه الموت والشيخوخة ، حيث يقول :

« كَسى المشيبُ فَوْدِى ، واشتعل الرأس شيبا
ولم تعد خطوة الشباب الرشيقة تلازمنى ونخرت الشيخوخة
أسنانى وصرت من الموت قاب قوسين أو أدنى

ومن أجل هذا أبكي وأتألم وترتعد فرائصي فرقا من تارتاروس
فأغوار هاديس رهيبة مفزعة والطريق إليه مفروش بالأحزان
وليس هناك أمام من يهبط إليه وسيلة للصعود »[٤٢]

وأناكريون – كما يقول C.M. Bowra لايسمح بأية أفكار خادعة حول فكرة الموت ولا يرى أى عزاء فى اقتراب الشيخوخة ثم الموت[٤٣] .

وأعظم الشعراء الغنائيين الذين عرفتهم بلاد الإغريق هو بنداروس ، وله من الثقل فى مجال الشعر الغنائى مثل ما لهوميروس فى مجال الشعر الملحمي ، ولكن الاختلاف حول الموت والعالم الآخر بينهما اختلاف بيّن .

فبينما يرسم هوميروس صورة باهتة لحياة الأرواح فى العالم الآخر ، صورة تخلو معالمها من الوضوح والتحديد ، فإن بنداروس يقدم من خلال أشعاره صورة مختلفة تمام الاختلاف ، وهو يؤمن بأن الموتى يحاسبون بعد موتهم على أفعالهم فى الحياة الدنيا ، وأن كلا من الصالح والطالح يلقى مصيرا يتفق وما قام به من أعمال فى دنياه[٤٤] .

ويقول السيد Norwood: أن بنداروس قد ترك لنا أشعارًا حول الروح ومصيرها بعد الموت تمتاز بالجمال وقوة التأثير بشكل لم يسبقه إليه أى وثنى[٤٥] .

وفكرة خلود الروح فكرة قديمة ومطروقة ، لكن بنداروس هو أول من وضح أن الروح خالدة لأنها إلهية[٤٦] ، فهو يقول :

« إن أجساد جميع البشر خاضعة للموت القاهر
أما ذلك الطيف (الروح) الكامن فى داخلهم فيبقى
لأنه وحده آتى من الآلهة ، فهو ينام
حينما تنشط الأعضاء وعندما تنام ، فإنه
يطلعنا فى أحلام عديدة على ما سيأتى من نعم ونقم »[٤٧]

وفى « الأوليمبية الثانية » تظهر لأول مرة فى الأدب الأوربى عامة فكرة أن الموتى فى العالم الآخر يحاسبون على أساس أخلاقى بحت . فقد كتب بنداروس :

« إن أرواح الموتى الشريرة تلقى جزاءها هناك
فتحت الأرض هناك من يعاقب على الخطايا التى ارتكبت
فى الحياة الأولى ، وهو يلقى حكمه فى عدوانية وصرامة

لكن أرواح الصالحين تنعم دائما بأشعة الشمس
وهم يحيون حياة سهلة ميسرة
إن أولئك الذين حفظوا إيمانهم يحيون
حياة خالية من الدموع بجانب الآلهة ، أمّا الآخرون
فيعيشون فى عذاب لا تستطيع عين أن تراه
أما كل من تحمل ، وحفظ روحه نقية ، لمدة ثلاث دورات
فإنه سينقل إلى برج كرونوس عبر طريق زيوس
وحول جزر المباركين تهب رياح المحيط
وتشع الزهور الذهبية ، بعضها (سقط) على الأرض
من الأشجار المتلألئة ، وبعضها يعيش فى المياه
وسوف تزين أيديهم وجباههم أكاليل مما جدلوه بأنفسهم
بينما يجلسون بجانب عرش رادامانثوس ، الذى عينه
زيوس القوى ، ليقدموا له المساعدة كمستشارين عادلين[٤٨]

فى هذه الأوليمبية تظهر بوضوح تأثيرات العقيدة الأورفية ، ويؤمن بنداروس أن كل من تلقى أسرار هذه العقيدة سوف يلقى مصيرا أفضل بعد الموت . وهو ما يذكره أيضا فى « المراثى »[٤٩] :

مبارك هو الذى رأى هذه الأشياء
قبل رحيله إلى باطن الأرض فقد عرف نهاية الحياة
كما عرف بدايتها على يد الإله زيوس

هذه الإشارات والشذرات وغيرها تعكس تعاليم العقيدة الأورفية[٥٠] ، بل إنها تشبه فى مضمونها «الألواح الذهبية» التى كانت توضع فى قبور الموتى من أتباع تلك العقيدة[٥١] .

وإذا ما انتقلنا إلى المسرح الإغريقى ، وهو قمة تطور هذه الأشكال الفنية ، والبوتقة التى انصهر فيها الموروث الأدبى ليخرج فى صورة أكثر جمالا وبهاء ، سنجد أن الإله ديونيسوس ، الذى انبثق المسرح من طقوس عبادته ، قد ذاق مرارة الموت على يد التيتان لكنه بعث مرة أخرى ، فهو لذلك يجسد الحياة والموت معا .

والموت والعالم الآخر هو الموضوع الذى نكرس له هذه الدراسة ونعالجه تفصيلا من خلال فصولها المختلفة ، لكننا نود هنا أن نستخلص بعض الآراء التى وردت فى التراجيديات الإغريقية حول الموت .

فالموت هو النهاية الطبيعية لكل حياة[٥٢] وهو آخر رحلة يقوم بها إنسان[٥٣] . لذلك لا يجب الحكم على إنسان بأنه سعيد أو شقى إلا بعد انتهاء هذه الرحلة ، أى بعد موته[٥٤] .

والموت فى حد ذاته كريه ، والخوف منه من أبرز العوامل التى شكلت اللاهوت الإغريقى[٥٥] . ولقد ظهر الخوف من الموت فى كل ما خلفه الإغريق من شعر ملحمى وغنائى ومسرحى ، وحتى فى الرسوم والنقوش الجنائزية .

ولعل أبرز ما يوضح خوف الإغريق ونفورهم من الموت ، أنهم اعتبروه نوعا من الدنس[٥٦]؛ فمن العادات الاجتماعية التى شاعت فى أثينا وضع إناء يحتوى على ماء نظيف بجانب بيت المتوفى ليغسل كل من يخرج من البيت يديه ويطهرها من دنس الموت[٥٧] .

رغم الخوف والكراهية المتأصلة فى نفوس الإغريق تجاه الموت ، فإن بعض الشخصيات المسرحية كانت تتشوق إليه وترى فيه الخلاص والراحة. ولا يعنى هذا أن ذلك كان سمة عامة فى المسرح ، لكن بعض الشخصيات تفضل الموت على الحياة بسبب ظروفها الخاصة : فعندما تصبح آلام العيش أكثر مما يحتملها إنسان ، فليس هناك أفضل من الموت[٥٨] .

وعندما يفقد الإنسان كل أمل فى الحياة ويرى أن لا شىء هناك يستحق أن يحيا لأجله ، فإنه يفضل الموت على حياة هذا طابعها[٥٩] . وعندما يكون لزاما على إنسان أن يلقى الموت فيجب أن يلقاه بشجاعة ولا يجبن فى مواجهته[٦٠] ، فالموت المشرف لا يقل فى قدره عن الحياة ذاتها .

إن أهم ما يحزن أليكترا فى حادثة مقتل أبيها أجاممنون ، هى الطريقة التى مات بها وليس الموت نفسه[٦١] ، فلو أنه مات ميتة تليق به فى ساحة الوغى لما حزنت كل ذلك الحزن[٦٢] .

والناظر فى المسرحيات الإغريقية لابد وأن يخرج بملاحظات أخرى حول رؤية الإغريق التى تفرق بين موت الرجل وموت المرأة. إذ يبدو أن الوضع الاجتماعى المتدنى للمرأة الإغريقية ، ونظرتهم إليها باعتبارها مواطنا من الدرجة الثانية ، قد انعكس فى تقييم المجتمع لموتها . فقد نظر المجتمع الإغريقى لموت الرجل على أنه كارثة كبرى فهو يحمل

اسم العائلة وبموته ينتهى ذكرها ، لكن موت المرأة ليس بذى قيمة . لذلك تقول افيجينيا لاورستس إنها على استعداد أن تموت بنفس راضية كى تنقذه ويصل بيته سالما لأنه بموت الرجل تنهار الأسرة ، أما موت النساء فلا قيمة له[٦٣] .

ويتكرر هذا المعنى مرة أخرى على لسان أفيجينيا فى مسرحية « أفيجينيا فى أوليس » حين تقول إنه من الأفضل أن تموت عدة نساء لو أن ذلك يحفظ لرجل واحد حياته[٦٤] . ورغم أن هذه الإشارة محددة بزمن الحرب ، فإنها تنطلق كذلك من نظرة المجتمع وتقييمه للمرأة حية وميتة .

ولقد ظل الموت لغزا محيرا لا تستطيع عقول البشر أن تفسره. ورغم تعدد المذاهب الفلسفية والمعتقدات الدينية التى تناولت ظاهرة الموت ، ظل الموت غامضا ، وسيظل كذلك لأنه الشىء الوحيد الذى لم يستطع الإنسان–رغم كثرة منجزاته وعظمتها[٦٥] – أن يجد له علاجا ، أو أن يفلت من بين براثنه .

لذلك نسمع من سوفوكليس قوله:

« كثيرة هى العجائب فى الحياة ، ولكن ما أكثر مدعاة للعجب من الإنسان : فهو يمخر عباب البحر المزبد تسوقه ريح الجنوب العاصفة ، ويشق طريقه عبر وديان أليم ذات أمواج متلاطمة . فهو ينهك الأرض أقدم الأرباب والتى لا سبيل إلى إفنائها ، ويقلب تربتها بالمحراث والخيل عاما بعد عام . قبض فى قبضته طيور الفضاء الرشيقة ووحوش الفلاة الضارية والكائنات التى تتخذ المحيط مقرا لها وأوقعها فى براثن شباكه دقيقة الصنع أنه الإنسان ذو الدهاء البالغ ، سيد الوحوش التى تجول فى الحقول أو تجوس فوق الجبال . روض الجواد ووضع النير على عنق الثور الذى يتناثر الزبد من شدقيه . تعلم استخدام اللغة والأفكار التى تماثل الريح فى سرعتها ، وابتكر القرارات الحاسمة التى تنظم الحياة الجماعية فى المدن ، وعرف كيف يتقى لدغات الصقيع القارسة وشر الجو العاصف . ليس هناك أمر بعيد عن سلطانه أو معضلة تستعصى على مقدرته ودهائه . وجد لكل داء دواء ما خلا الموت الذى لم يجد منه مفرا أو مهربا » .

الهوامش

(١) Taylor, H. O.: Ancient Ideals, p. 171 .

(٢) Homer: Ody. 111, 236 - 238.

(٣) Guthrie. W. K. C.: Orpheus and Greek Religion p. 149 "In Homer the generally accepted notion is that death is the negation of all the attributes that make life worth living" .

(٤) Homer. 111, 3 - 4.

(٥) Taylor, H. O.: Op. Cit. p. 161.

(٦) Homer: Ody. XI, 489 - 491.

(٧) د . لطفى عبد الوهاب : « عالم هوميروس » عالم الفكر . مجلد ١٢ العدد ٣ لسنة ١٩٨١م .

(٨) Homer: Il, Iv, 279 - 282 .

(٩) Hesiod: theog. 116 - 153.

(١٠) عن التشاؤم فى قصائد هسيودوس وتأثيره في المسرح الإغريقى أنظر : F. Solmsen: Hesiod and Aeschylus pp. 124 ff.

(١١) يقول العالم M. I. Finley عن ارتباط الشعر بالمجتمع : "Poetry underwent a series a of interesting changes, reflecting something of the history of Greek society itself" Finley. M. I: The Ancient Greeks P. 92.

(١٢) Bowra, C. M; Early Greek Elegists p. 6.

(١٣) Frag. 1, 18 - 21 .

(١٤) Bowra, C. M.: Op. Cit. pp. 17 - 18.

(١٥) Frag 2, and Bowra, C. M.: Op. Cit. pp. 19 - 20.

(١٦) Oliva, P.: The Birth of Greek civilization. P. 173.

(١٧) Bowra, C. M.: Op. Cit P. 42 .

(١٨) Ibid, P. 66.

(١٩) Frag. 9. 27 - 32.

(٢٠) Frag. 22. 5 - 6.

(٢١) 243 - 247 .

(٢٢) Bowra , C . M .: Op . Cit . p . 166 .

(٢٣) 425 - 428 .

(٢٤) سوفوكليس : أوديب فى كولونوس ١٢٢٥ – ١٢٢٨ .

(٢٥) Bowra . C . M .: Greek Lyric poetry . P . 312 .

(٢٦) Ibid, p. 322 .

(٢٧) Oliva , p . Op . Cit p . 177 .

(٢٨) Bowra , C . M . Op . Cit . p . 325 .

(٢٩) Frag . 9 D .

(٣٠) كانتا خاربيديس وسكيلا فى الأساطير الأغريقية اثنتين من وحوش البحر ، تعيشان فى كهوف تقع على طرفى مضيق مسينا ، الذى يفصل بين إيطاليا وصقلية .

ويقال أنهما كانتا تلتهمان بحارة السفن المارة بهذا المضيق . ولقد كانت سكيلا فى الأصل حورية جميلة أحبها جلوكوس ، وحينما طلب من كيركى أن تعطيها دواء الحب الساحر أعطتها كيركى سما حوّلها إلى وحش . ويتجسد خاربيديس على هيئة دوامة مخيفة قاتلة .

Lexicon universal Encyclopedia , Vol 17 , S . Scylla and Charybodis .

(٣١) Bowra , C . M . Greek lyric poetry p . 324 .

(٣٢) Frag . 9 . D .

(٣٣) Bowra . C . M . op. cit. p. 341.

(٣٤) Ibid. p. 322.

(٣٥) Frag. 581.

(٣٦) هذه ترجمة د . أحمد عتمان لهذه الشذرة لسيمونديس والتى نشرها فى كتابة الشعر الأغريقى « تراثا إنسانيا وعالميا» ص ١٦٢ .

(٣٧) بيريا هى مقاطعة فى شمال تساليا ويقال أن ربات الفنون كن يسكنها .

(٣٨) Frag . 55 .

(٣٩) Bowra , C . M .: Greek lyric poetry p : 129 .

(٤٠) Frag 95 , 11 - 13

(٤١) Bowra, C. M., Greek lyric poetry p. 207.

(٤٢) Ibid. p. 30.

(٤٣) Ibid. p. 306 Anacreon allows himself no illusions and no consolation about age or death".

(٤٤) Muller, K. O: History of literature of Ancient Greece p. 229.

(٤٥) Norwood, C: Pindar, P. 60 .

(٤٦) Ibid. p. 61 .

(٤٧) Frag. 116.

(٤٨) Pindar: Second Olympian. VU 56 - 80.

(٤٩) Frag., 121, 137 a.

(٥٠) Norwood, G. Op. Cit p . 61; Dickinson, G. L: The Greek view of life, p. 40.

(٥١) Adkins, A. W. H. Merit and Responsibility, p. 141 .

(٥٢) سوفوكليس : أوديب في كولونوس ١٢٢٤ .

(٥٣) سوفوكليس : بنات تراخيس ٨٧٤ – ٨٧٥ .

(٥٤) المصدر السابق ١ – ٣ .

(٥٥) Brandon, J. G. F: The Judgment of the Dead p .95. The fear of death was the primary which inspired the eschotology of both Greek and Graeco - Roman Society" .

(٥٦) Adkins, A. W. H. Op. Cit. p. 89.

(٥٧) Guhl & Koner; The Life of the Greeks and Romans p. 290.

(٥٨) يوربيديس: «هيكابى» ١١٠٧–١١٠٨، قارن ايسخولوس : بروميثوس فى الأغلال ١٥١ – ١٥٩ .

(٥٩) يوربيديس : هيكابى ٣٦٦ – ٣٧٦ .

(٦٠) يوربيديس : « ايفجينيا بين التاورين » ٤٨٦–٤٨٧ ، « الطرواديات » ٤٠٠ – ٤٠٣ .

(٦١) ايسخولوس : حاملات القرابين ٤٤٥ – ٤٥٠ .

(٦٢) المصدر السابق ٣٤٥ – ٣٥٣ .

(٦٣) يوربيديس : « ايفجينيا بين التاورين » ١٠٠٢ – ١٠٠٦ .

(٦٤) يوربيديس : « ايفيجينيا فى أوليس » ١٣٩٢ – ١٣٩٤ .
(٦٥) سوفوكليس : انتيجونى ٣٣٢ – ٣٧٥ .

الفصل الأول

أهمية الدفن وطقوسه

الفصل الأول

أهمية الدفن وطقوسه

احتلت مشكلة الدفن مكانة ليست بالقليلة فى المسرح الإغريقى ، فهى المحور الذى تدور حوله العديد من المسرحيات : مسرحية « أنتيجونى » لسوفوكليس تدور حول تضحية الأخت بحياتها من أجل أن تدفن أخاها[1] . أما مسرحية « أياس » فتثير تساؤلا حول أحقية البطل المنتحر فى الدفن برغم ما كان يخطط له من قبل ضد بقية قادة الجيش[2] .

وتدور مسرحية « المستجيرات » ليوربيديس حول كفاح أمهات المحاربين الذين سقطوا على أبواب طيبة من أجل الحصول على جثث أبنائهن حتى يتمكن من دفنهم[3] .

بالإضافة إلى هذه المسرحيات ، فلا تكاد تخلو مسرحية من سطور عديدة حول الدفن وقدسيته أو الحداد ، والقبر والقرابين التى توقع عليه استرضاء للقوى الأرضية ولأرواح الموتى .

وفلسفة الدفن عند الإغريق فلسفة بسيطة فى جوهرها ، قوامها أن الدفن واجب الأحياء تجاه الموتى ، بالإضافة إلى أنه يحفظ النظام العام لكل من عالم الموتى وعالم الأحياء ، فعالم الموتى لا يمكن أن يقبل بين جنباته روحا لم تجر لصاحبها طقوس الدفن المتعارف عليها وعالم الأحياء لا يمكن أن يستقر ويسوده الأمان وهناك روح هائمة لا تجد لها مستقرا[4] .

ومن بين هذه الإشارات العديدة لأهمية الدفن ، فإن إحدى مسرحيات يوربيديس تبلور لنا وجهة النظر الإغريقية فى وجوب الدفن وقدسيته . يقول أوراستوس فى مسرحية « المستجيرات »[5] :

« اتركوا الأرض الآن تخفى جثث الموتى
وتعيد إلى جوفها ما خرج منها إلى حيث الضوء :
فتعود الروح إلى الأثير ويغيب الجسد فى الثرى
ذلك أننا لا نملك جسدنا هذا إلا ... ..

لكى نسكنه أثناء الحياة أما بعد ذلك
فيجب على الأرض التى ترعانا أن تسترده » .

فالدفن ، حسب المعتقد الإغريقى ، وضع للأمور فى نصابها الصحيح ، وهو عملية ضرورية لضمان وصول الروح للعالم الآخر ، فإذا لم تدفن جثة الميت ظلت روحه حائرة بين عالمى الأحياء والموتى : لا يقبلها الأحياء فى عالمهم ، فلم يعد صاحبها ينتمى إليهم ، ولا يقبلها الموتى كذلك فى مملكتهم لأن صاحبها لم يدخل فى زمرتهم بعد .

والتراث الإغريقى زاخر بالأمثلة التى تعكس إيمانهم بأن عملية الدفن هى البداية التى تعبر منها الروح للعالم الآخر لتستقر فى مملكة الموتى « فنعرف من الإلياذة أنه عندما يسقط بطل من المحاربين فإن روحه تبقى حائرة ولا يمكنها أن تجتاز بوابات هاديس دون أن تتم لها شعائر جنائزية معينة »[٦] . وعندما يموت باتروكلوس ، فإن شبحه يأتى إلى صديقه أُخيليوس فى نومه ويعاتبه على ترك جثته بدون دفن ، ويتوسل إليه أن يدفنه على وجه السرعة ، حتى تتمكن روحه الهائمة من عبور بوابات العالم السفلى[٧] .

وفى « الأوديسا » تكثر الإشارات إلى الأرواح الهائمة التى لا تجد لها مستقرا ولا تستطيع عبور نهر ستيكس الذى يفصل بين عالمى الأحياء والموتى ، لأن جثثهم لم تدفن بعد ، ومن ثم لا يمكن قبولهم فى العالم الآخر[٨] .

ولقد تأصلت فكرة وجوب تكريم الموتى بدفنهم حتى باتت من أهم المبادئ التى حرص الإغريق على القيام بها ، وكانوا يطلقون على شعائر الدفن لفظ Ta Dikaia , Ta Nomiına للدلالة على قدسيتها وأهميتها[٩] .

وكم من مرة توقفت الحروب ، وسكتت أصوات القتال كى يتمكن الطرفان المتحاربان من دفن موتاهم[١٠] .

إن حق الموتى فى الدفن حق مقدس كفلته لهم الآلهة وأكدته التقاليد والأعراف ، لذلك اعتبر منعهم من هذا الحق عملا بربريا وعدوانا على الناموس الطبيعى . لذلك يؤكد يوربيديس أن بلاد الإغريق بأسرها تغضب إذا حاول أحدهم حرمان الموتى من هذا الحق . ففى مسرحية « المستجيرات » يخاطب ثيسيوس الرسول الطيبى قائلا[١١] :

أتظن أنك تهين أرجوس وحدها بعدم دفن الموتى ؟
فمن يجسر على أن يحرم الموتى من الدفن

في قبورهم التى هى حق لهم
فكأنما أساء بهذا إلى الإغريق جميعا .

وعندما يحاول أحدهم أن يحرم الميت من حقه فى الدفن فإنه لا يخطئ فقط فى حق الميت ، لكنه ينتهك كذلك كل القوانين الإلهيةوالأخلاقية التى تحتم الدفن[١٢] . أما الحرص على أن يوفى الأحياء للموتى حقهم فى الدفن فيعنى احترام تلك القوانين واحترام قدسية الموت نفسه . عندما يسمع كريون نبأ موت ابنه – فى مسرحية « الفينيقيات » – يذهب على الفور ولا يتباطأ – رغم فجيعته – ليقيم له شعائر الدفن قائلا[١٣] :

« فإنه من واجب الحى أن يقدم التكريم للموتى
وبذلك يوقر إله العالم الآخر » .

هذه النظرة الإغريقية للدفن وقدسيته تجعلنا أكثر تفهما لذلك الإلحاح فى طلب الدفن بعد الموت الذى يجيء على لسان العديد من الشخصيات المسرحية . ففى مسرحية سوفوكليس « أوديب ملكا » ، نجد أن أوديب لا ينسى رغم فظاعة الموقف وهول الكارثة أن يوصى أبناءه بدفن جثة يوكستا ، الزوجة والأم[١٤] . وهو الرجاء نفسه الذى نسمعه على لسان بولونيكيس فى مسرحية « أوديب فى كولونوس » – ففى هذه المسرحية يطلب بولوينكيس من أخته أنتيجونى أن تحاول جاهدة أن تعود لطيبة لتقوم بدفن جثته إذا مالقى حتفه فى صراعه مع أخيه ، وهى حينما تفعل سوف تضمن امتنان روحه وتقديرها لصنيعها[١٥] .

أما فى مسرحية يوربيديس « ميديا » فإن ياسون يتضرع أكثر من مرة لزوجته رغم بشاعة جرمها وعظم جريمتها أن تعطيه جثتى طفليه كى يدفنهما[١٦] .

فى حين أن قصة نضال أنتيجونى من أجل دفن أخيها بولونيكيس تستحق وقفة تأمل . ففى نهاية مسرحية « سبعة ضد طيبة » تعلن أنتيجونى عن عزمها على دفن أخيها أيا كانت النتائج[١٧] .

وكان كريون قد أصدر أوامره بتكريم ايتيوكليس وإقامة الشعائر الجنائزية اللائقة ، فى حين تترك جثة بولونيكيس نهبا للطيور الجوارح والحيوانات المفترسة ، لأنه استعان بقوى أجنبية وأتى محاربا وطنه وأهله[١٨] .

وبمقتضى القانون الإغريقى كان الدفن حقا لكل مواطن ، باستثناء أولئك الذين خانوا وطنهم أو ارتكبوا جريمة عقوبتها الإعدام ، فقد حرمهم القانون شرف الدفن وقضى بأن تترك جثثهم فى الخلاء للحيوانات المتوحشة والطيور المفترسة[١٩] .

وبطبيعة الحال ، كانت أنتيجونى تعرف هذا القانون ، لكنها تعلن أنها سوف تدفن بولونيكيس ، وكأنها بدفنه تنفى عنه تهمة خيانة وطنه ، وأنه كان يحاول فقط استعادة حقه السليب[٢٠] .

وهكذا يمكننا أن نرى جانبا جديدا فى صراع أنتيجونى – كريون ، فهو ليس صراعا بين القوانين السماوية والقوانين الوضعية فحسب ، كما اعتبره العديد من الدارسين ، بل هو أيضا صراع على توصيف استخدام بولونيكيس للقوة المسلحة فى استعادة عرش طيبة ، وهل هو خيانة للوطن كما يعتقد كريون أم هو حق مشروع كما ترى أنتيجونى[٢١] .

فكريون لا يفكر فى عصيان القانون السماوى القائل بأن تدفن جثة الإنسان حينما يقضى نحبه ، فهو يأمر بدفن جثة اتيوكليس وإقامة الشعائر الجنائزية اللائقة لبطل مات دفاعا عن وطنه ، لكنه يعتبر بولونيكيس مستحقا لعقوبة عدم الدفن لأنه كاد أن يدمر المدينة لولا تدخل الآلهة[٢٢] .

ولقد تشابه الإغريق والمصريون القدماء فى تقديسهم لعملية الدفن رغم وجود اختلافات فى نظرة كل منهم لها ، فقد اعتبر المصريون الدفن والتحنيط والمحافظة على سلامة الجثة الضمان للبعث . فإذا ظل الجسد سليما نزلت فيه الروح مرة أخرى حينما تبعث . أما إذا أصابه مكروه تاهت الروح وظلت هائمة[٢٣] .

أما الإغريق فقد نظروا للدفن على أنه خير تتويج لحياة الإنسان كما أنه ضمان لاستقرار الروح فى العالم الآخر . ولم يحظ الدفن بهذه المكانة عند جميع الشعوب . بل إن بعض الشعوب لا تعرف دفن جثث الموتى . فبعض الجماعات التى كانت تعيش جنوب البحر الأسود كانت تمارس عادات غريبة فيما يتعلق بالموت وطريقة التعامل مع جثث الموتى . فقد عرف عن الكاسبيين Caspians أنهم كانوا يتركون الشيوخ فوق السبعين ليموتوا جوعا ، وكانت جثث الموتى تترك فى العراء ، لكنهم كانوا يراقبونها عن كثب لمعرفة ما سيحدث لها : فإذا حملتها النسور وجوارح الطير من فوق النعش اعتبر الميت سعيد الحظ ، ومن تفترس جثته الحيوانات المفترسة أو الكلاب اعتبر أقل حظًا ، أما أكثرهم بؤسا فهو من بقيت جثته كما هى ولم تفترسها الطيور أو الحيوانات[٢٤] .

وكان الدربيون (Derbices) يقتلون الرجال الذين تجاوزت أعمارهم السبعين عاما ، ويقوم الأقارب المقربون بالتهام جثتهم . أما العجائز من النسوة فكن يخنقن ، ثم يدفنّ بعد ذلك[٢٥] . ويبدو أنهم اعتبروا أكل الميت تكريم له وإعلاء من شأنه لأن حياته ستستمر في حياة من أكلوا منه ، في حين حرمت النساء ذلك المصير وكان يتم دفنهن .

أما الإغريق والمصريون القدماء فقد أسبغوا على عملية الدفن قدسية عظيمة ، وحثتهم دياناتهم وتقاليدهم الموروثة على وجوب القيام بدفن جثة من مات سواء كان عدوا أو صديقا .

وفيما يبدو تميزت عادات الدفن في أتيكا قديما بالبساطة ، فكان على الأقارب أن يحفروا قبرا بسيطا توضع فيه الجثة ويهال عليها التراب وتنتهى الشعائر الجنائزية بإقامة وليمة تُذكر أثناءها فضائل الميت[٢٦] . غير أن هذه البساطة تحولت فى العصر الهومرى إلى شعائر وطقوس فى غاية التعقيد .

وتبدأ هذه الشعائر بإغلاق فم الميت وعينيه[٢٧] ، ثم يقوم أحدهم بغسل الجثة ووضع العطور عليها ، ثم تلبس بملابس بيضاء وتوضع على حامل لتعرض على الأهل والأقارب لتوديع الميت . وهنا تتعالى صرخات النسوة ويرتفع عويلهن ، ويبدأن فى لطم الخدود وتمزيق الثياب وفعل كل ما من شأنه إظهار الحزن والألم . وكثيرا ما كان يتم الاستعانة بنائحات محترفات فى هذه المهمة[٢٨] . وبينما يبقى الجسد مسجى ليلقى الأهل والأصدقاء نظرة وداع أخيرة عليه ، يحيط به من كل جانب المغنون الذين يشرفون على أداء المرثية ، التى تصاحبها صيحات النساء وعويلهن[٢٩] .

وبعد فترة عرض مناسبة لمكانة الميت[٣٠] ، يتم وضع الجثة فوق المحرقة ، ويقوم الأهل والأقارب أثناء حرقها بنحر العديد من الذبائح بجانب المحرقة وذلك على ما يبدو لاسترضاء القوى الأرضية وآلهة العالم الآخر التى سيحل عليها الميت ضيفا .

وعندما تخمد النيران ، يرش الرماد بالماء والخمر ويجمع فى قوارير مصنوعة من خامات قيمة وتلف فى قماش أرجوانى ثمين ثم تدفن القارورة فى القبر[٣١] .

ولقد ظلت هذه الشعائر المعقدة سائدة ردحًا من الزمن ، وغالى فيها البعض ، حتى جاء سولون ليضع لها حدودا وضوابط . فقد حرم أن يقوم أهل الميت بالمغالاة فى إظهار حزنهم وخاصة النساء . كما منع تلاوة المراثى واستئجار نائحات محترفات . وحد سولون كذلك من كل مظاهر البذخ والإسراف التى كانت تحدث فى الجنازات ، وكف الناس

عن ذبح الثيران بجانب القبور كقربان لآلهة العالم الآخر ولأرواح الموتى . كما أصدر تشريعا بتقليل ما يدفن مع الميت من ملبوسات وحلى[٣٢] . وقد أدى ذلك كله إلى أن تتصف الشعائر الجنائزية بشيء من الاعتدال وهو ما تكشفه الشواهد الأثرية وتؤكده المسرحيات الإغريقية .

وأبسط شعائر الدفن تقدمها لنا مسرحية سوفوكليس « أنتيجونى » : فلم يكن فى مقدور أنتيجونى وهى فتاة وحيدة – تواجه قرار كريون بمنع دفن جثة بولونيكيس كما تواجه الحراس المنوط بهم مراقبة الجثة – أن تقوم بشعائر الدفن المعتادة ، لذلك قامت بأبسط هذه الشعائر والتى يصفها الحارس قائلا[٣٣] :

« وفى التو حملت فى راحتيها (حفنة من) الرمال العطشى
ومن قارورة برونزية ذات زخرف رائع مرفوعة لأعلى
توجت الجثمان المسجى بسكيبة صبتها عليه ثلاث مرات »

فإن حفنات قليلة من الرمال الجافة تنثر فوق الجثة . وصب قليل من القرابين ، يعتبر كافيا لكى يتم استقرار الروح فى العالم الآخر . وعندما يعرف كريون أن الآلهة غاضبة منه ، وأنها سوف تنزل به أشد العقاب لمنعه دفن جثة بولونيكيس ، فإنه يأمر بدفن الجثة – أو ما تبقى منها – وقد تم ذلك أيضا بأبسط أشكال الشعائر الجنائزية والتى يصفها الرسول بقوله أنهم وجدوا جثة بولونيكيس وقد مزقتها الكلاب ، فأخذوا ما تبقى منها وأجروا لها شعائر دفن متواضعة بدأت بصلاة لبرسيفونى وهاديس كى يحول غضبهما على بولونيكيس المسكين إلى رحمة وشفعة[٣٤] ثم غسلوا ما تبقى من جثته من الأدران[٣٥] ، ووضعوها فوق بعض الأغصان التى لم تجف بعد وقاموا بحرقها . وأخيرا أقاموا له قبرا بسيطا فى وطنه طيبة[٣٦] .

وتقدم لنا مسرحية « أياس » نموذجا أكثر تعقيدا لعملية الدفن . فعندما يستقر الرأى على دفن جثة البطل المنتحر ، يأمر تيوكر الرجال أن يقوموا بعمل التجهيزات اللازمة للدفن وهى تبدأ بحفر القبر الذى سيدفن فيه ، ثم تجهيز الماء الساخن اللازم لغسل الجثة من الأدران ، وبعد غسل الجثة يتم إلباسها فاخر الثياب . ولأن أياس كان قائدا عسكريا فقد طلب تيوكر أن يحضروا أسلحته لتوضع معه فى قبره[٣٧] وهو ما كان أياس قد أوصى به قبل موته[٣٨] .

ولقد أثبتت الاكتشافات الأثرية أنه عادة ما كانت توضع مع الميت بعض الأسلحة ، وبعض أنواع الأمتعة الخاصة بالمقابر .

وكان مقدار ما يزود به الميت من هذه الأشياء يتفاوت تفاوتا عظيما من عصر لآخر . فقد كان من عادة النبلاء الموكينيين أن يدفنوا مع موتاهم ثروات عظيمة[٣٩] ، غير أن أهل العصور التالية كانوا أكثر منهم توخيا لدواعى التدبير والاقتصاد ، إلا أنه لم يكن من المألوف أن يحرم الميت من بعض المقتنيات[٤٠] . وكان من المعتاد إذا ما كان الميت امرأة أن يضعوا معها كل ما من شأنه أن يزينها فى العالم الآخر[٤١] . وإذا لم تسمح الظروف ولم يكن فى استطاعة الأهل أن يضعوا مع المتوفاة الغالى والنفيس من الهدايا ، فإن بعض الحلى الرخيصة تفى بالغرض[٤٢] ، لكنهم لم يحرموا امرأة من زينتها الأخيرة مهما كانت الظروف . وبعد أن ينتهى الأهل من غسل الجثة وإلباسها فاخر الثياب وتزيينها بالحلى ،تأتى المرحلة الأخيرة وهى عملية الدفن ذاتها .

ولقد عرف الإغريق طريقتين للدفن : الأولى أن تحرق الجثة ويوضع الرماد المتبقى من عملية الحرق فى إناء يلف بفاخر القماش ثم يوضع الإناء المحتوى على الرماد فى القبر ، والثانية أن توضع الجثة فى القبر مباشرة أو توضع فى تابوت حجرى أو خشبى ويدفن التابوت فى القبر[٤٣] .

ويعتقد العالم H. J. Rose أن هذا الاختلاف بين الطقسين المتبعين فى الدفن لا يعكس اختلافا فى المعتقدات المتعلقة بالحياة بعد الموت ، إذ أن الهدف من كليهما كان إبعاد الجثة عن عالم الأحياء ، وهو أهم ما كان يشغل بال الإغريق[٤٤] .

ولقد أثبتت الاكتشافات الأثرية التى كشفت النقاب عن العديد من القبور فى سهل أتيكا أن دفن الموتى ، دون حرق ، كان شائعا بنفس درجة شيوع طريقة الحرق التى لم يعرف غيرها فى العصر الهومرى[٤٥] .

ويعتقد الكثيرون أن طريقة الدفن دون حرق هى الطريقة الأقدم لأنها ترجع إلى العصر الموكينى[٤٦] . وكما هو معروف فإن الحضارة الموكينية بعث للحضارة الكريتية المينوية التى كان موروثها الدينى شرقيا فى أصوله . فالدفن فى الأصل عادة شرقية حرص عليه المصريون القدماء بصفة خاصة لضمان سلامة الجسد حتى تحل فيه الروح إذا ما بعث الميت للحياة مرة أخرى[٤٧] ، فى حين أن الحرق عملية فرضها الواقع وفرضتها نظرة الإغريق للموت وللعالم الآخر .

ويرى العالمان E. Guhl , W. Koner أن كلتى الطريقتين استخدمتا فى العصر الكلاسيكى ، وأن رغبة المتوفى وأقاربه ، وتوفر أو ندرة الأخشاب فى منطقة ما ،

هى التى كانت تحدد أى الطريقتين يمكن استخدامها فى الدفن ، كما تدخلت البيئة كذلك وطبيعة الأرض فى تحديد طريقة الدفن ، فطبيعة أتيكا الصخرية وخلوها من الأشجار قد حتمت الدفن فى قبور منحوتة فى الصخر لمعظم السكان[٤٨] .

وفى بعض الحالات لم يكن هناك مجال للاختيار ، وكان يجب استخدام طريقة الحرق وهو ما حدث فعلا عند انتشار الوباء فى أثينا عام ٤٣٠ ق .م . فقد تم إحراق جميع الجثث خوفا من تكدسها وما تحدثه من تلوث يزيد من حجم الكارثة[٤٩] . كما أن طريقة الحرق كانت تسهل نقل رفات من ماتوا بعيدا عن وطنهم ، وهو ما تعكسه المسرحيات الإغريقية ، ففى مسرحية « اليكترا » لسوفوكليس ، يحمل الغريب نبأ موت أورستيس فى المنفى ويقدم لأهله القارورة التى تحتوى على رماد جثته ليدفنوها[٥٠] .

وتكثر فى المسرحيات الإشارة إلى عملية حرق الموتى : ففى مسرحية « المستجيرات » ليوربيديس يعد أوراستوس أمهات من سقطوا على أبواب طيبة بأنهن سوف يحصلن على رماد جثث أبنائهن بعد أن تخمد النيران[٥١] . وفى مسرحية « أورستيس » نعرف أن اورستيس قد تبدلت أحواله ولم يعد يقرب الطعام ولا يعرف النوم بعد أن قتل أمه ، فقد أصابته الإيرينيات بالجنون حينما كان واقفا بجانب المحرقة ليجمع رماد جثتها[٥٢] . وفى مسرحية « ريسوس » يقول هكتور مواسيا أم ريسوس أنه قد تأثر تأثرا كبيرا لموت ابنها لذلك سوف يقيم له محرقة ضخمة[٥٣] وحينما تحاول اليكترا فى مسرحية أيسخولوس « حاملات القرابين » – أن تعبر عن كراهيتها لمن تولوا زمام الأمور فى البلاد بعد مقتل أبيها ، فإنها تتمنى أن تراهم جثثا فى المحرقة وسط ألسنة النيران[٦٠] .

وطبقا لما تعكسه المسرحيات من العادات المتعلقة بالدفن ، يمكننا أن نقول أنه كان من واجب أقرب الأقارب أن يقوم بتجهيز الجثة ووضعها على المحرقة وإشعال النار بنفسه فقد اعتبر الإغريق أنه من العار أن يقوم الغرباء ، بأداء هذه الطقوس لأنها من اختصاص الأقارب بل من واجبهم[٥٥] .

وعلى ما يبدو فقد سمحت التقاليد للمرأة بأن تقوم بهذه الطقوس حتى لو كان الميت رجلا . ففى مسرحية « سوفوكليس » نرى أليكترا ممسكة بالقارورة التى اعتقدت أن بها رماد جثة أخيها أورستيس قائلة[٥٦] .

« اننى أنا الشقية البائسة ، لم أغسل جسدك
بتلك الأيدى المحبة ، ولم أرمى (جسدك)

إلى المحرقة ذات اللهب المتأجج ، كما يقضى الواجب ، ويا له
من عبء ثقيل » .

وفى مسرحية « أفيجينيا فى تاوريس » ليوربيديس ، تقطع أفيجينيا لأورسيتس عهدا بأنها سوف تعنى بجسده بعد موته وأنها سوف تقوم بكل ما يلزم من طقوس فى هذه الأحوال : فسوف تلبسه الغالى والنفيس ، ستزوده ببعض الحلى والمتاع الجنائزى . وتعده كذلك بأنها سوف تصب زيتا صافيا على جمرات المحرقة ليزداد اشتعالها ، ثم تجمع رماد جثته وتذيبه فى ذلك الشهد الذى تجمعه أسراب النحل من أزهار الجبال[٥٧] .

ولقد صاحب هذه الطقوس والشعائر الكثير من العويل والصراخ ولطم الوجه وتمزيق الثياب وفعل كل ما من شأنه أن يعبر عن حزن الأهل والأقارب لموت ذلك العزيز الذى يعدون جثته للدفن .

لكن النساء – بصفة خاصة – تطرفن وبالغن فى إظهار حزنهن معتقدات أن المغالاة فى بكاء الميت تعود على الأحياء بالتكريم[٥٨] . لذلك كن يمزقن وجوهن بأظافرهن حتى يسيل الدم ويصبغ وجوههن[٥٩] ، كما كن يمزقن ثيابهن وهن يذرفن الدمع الغزير[٦٠] .

ولقد عرفت نساء الإغريق عادة إهالة التراب على رؤوسهنّ باعتباره مظهرا للحزن الشديد على الموتى[٦١] ، كما كن يقمن بقص شعورهن ويعلقنها على هيئة ضفائر فى فناء البيت الأمامى[٦٢] . على حين اقتصرت مظاهر الحداد بالنسبة للرجال على قص الشعر ولبس الملابس السوداء[٦٣] .

وكانت فترة الحداد تمتد عاما كاملا كما يرد فى بعض المسرحيات ففى مسرحية « الكستس » يقول أدميتوس ، معقبا على وفاة زوجته الوفية إن المدينة لن تعرف المرح والبهجة ولن يسمع فيها صوت ناى أو قيثارة لمدة اثنى عشر شهرا كاملة[٦٤] ، هى فيما يبدو فترة الحداد التى قضى بها العرف وسارت عليها التقاليد لأنه يقول فى موضع آخر ، مخاطبا زوجته وهى تحتضر ، إنه سوف يعيش فى حداد دائم عليها وليس لمدة عام واحد كما جرت العادة[٦٥] .

وفى اللحظات الأخيرة كان الأهل والأقارب يودعون الميت ويتلون الصلوات التى يتضرعون فيها لآلهة العالم الآخر كى تستقبل فقيدهم استقبالا حسنا حتى ينال الحظوة والتقدير فى عالمه الجديد[٦٦] . وبعد هذه الصلاة يحملون الجثة أو التابوت أو القارورة التى تضم رماد الجثة ويضعونها فى مقرها الأخير ، القبر .

ولقد اهتم الإغريق بالقبور اهتماما عظيما(٦٧) ، وأسبغوا عليها نوعا من الجلال والقدسية حتى غدا بعضها مزارا أو مركزا للنبوءة(٦٨) رغم إيمان الإغريق بأن أرواح الموتى تعيش فى عالم بعيد قصى هو مملكة الموتى أو العالم الآخر .

ومن الجدير بالملاحظة أن العديد من المجتمعات قد عرفت هذه الثنائية فيما يتعلق بالموتى ، فرغم تصورهم لوجود عالم تسكنه أرواح الموتى يقع فى أعماق الأرض ، فإنهم لم يكفوا عن تصور أن الموتى يحيون داخل قبورهم وواظبوا على تقديم قرابين الطعام والشراب لهم(٦٩) .

ويحاول العالم S. Reinach أن يفسر ظهور هذين المفهومين المتعارضين فى الفكر الدينى الإغريقى فينسب أحدهما للديانة الرسمية ، بينما ينسب الآخر للمعتقدات الشعبية(٧٠) . ولكننا أكثر ميلا للأخذ بتفسير Gardner . الذى يرى أن هذا التناقض ما هو إلا أحد التناقضات الجوهرية التى عرفتها معظم الشعوب على مر الأزمان(٧١) .

لذلك لم يكن من المستغرب أن يهتم الإغريقى اهتماما كبيرا بالقبور ، ورغم إيمانه بوجود الأرواح فى العالم الآخر ، لأن القبر هو البوابة التى باجتيازها تبدأ الروح رحلتها الطويلة والشاقة للعالم الآخر .

ولقد اختلفت القبور فى أشكالها وأحجامها وطريقة بنائها اختلافا كبيرا لاختلاف المكان الذى أقيمت فيه وطبقا لاختلاف طريقة الدفن(٧٢) . وأقدم أشكال القبور وأبسطها ليست سوى حفرة صغيرة فى الأرض توضع بداخلها الجثة ، ثم تكوم فوقها الأحجار أو يهال عليها التراب على هيئة تل صغير . وإلى هذا النوع تنتمى تلك القبور التى ما تزال موجودة على شواطئ البسفور والتى تحوى بقايا أبطال ملاحم هوميروس مثل آخيلليوس وباتروكلوس إياس ، كما شيد الأثينيون قبورا على نفس هذا النمط ليدفنوا فيها شهداء المعارك الحربية(٧٣) .

ويمكننا أن نقول أن هذا النمط من القبور كان يقام ليدفن فيه كل من يموت أثناء القتال وكان يتم دفنهم فى المواقع التى قتلوا فيها وهو ما يمكن أن نستنبطه من حديث هكتور مع أم ريسوس فى مسرحية يوربيديس « ريسوس » ، حيث يقول لها أنه سوف يدفن ابنها مع أولئك الأبطال الذين سبقوه إلى حتفهم والذين يرقدون فى تلك القبور المصنوعة من أكوام التراب(٧٤) . أما فى الجزر اليونانية ، حيث تسيطر الطبيعة الصخرية فقد انتشرت القبور الصخرية وهى تلك القبور التى حفرها السكان فى الصخر ، أو قاموا

بعمل بعض التعديلات فى الشقوق والكهوف لتصبح قبرا ملائما ، ولم ينسوا أن يضيفوا لمسة فنية لتلك القبور حتى يكسروا حدة الصخر وبرودته(٧٥) .

ولقد عرف الإغريق المقابر المشيدة على هيئة وحدات منفصلة ولكن فى فترة متأخرة ، وكانت فى بداية الأمر تقام فى منزل المتوفى أو بالقرب منه . ولكن بعض المدن ، ومنها أثينا ، بدأت تنظر بقلق إلى ذلك التجاور مع الموت والموتى ، لذلك نقلت القبور إلى خارج أسوار المدينة وتجمعت فى مكان واحد يسمى « الجبانة » ، فى حين استمرت مدن أخرى ، مثل إسبرطة وتارنتم ، فى إقامة القبور داخل أسوارها وعلى مقربة من مساكن الأحياء حتى تنزع الخوف من الموت من عقول الشباب وقلوبهم(٧٦) .

ولقد اكتشف العالم الأثرى Fiedler أحد القبور المبنية من الحجر الجيرى ، وهو يمثل ما كانت عليه القبور فى الفترة الكلاسيكية . ولقد عثر Fiedler بداخل التابوت على الهيكل العظمى للمتوفى ومعه قنينتان للشراب وقطعتان من العملة النحاسية(٧٧) .

وهذا الدليل الأثرى يؤكد صحة ما تقول به المصادر الأدبية من أن الإغريق كانوا يزودون موتاهم ببعض العملات النقدية ليدفعوها للملاح المتجهم خارون Charon حتى ينقلهم فى قاربه عبر نهر ستيكس Styx الذى يفصل بين عالمى الأحياء والموتى(٧٨) .

وكان من عادة إغريق الفترة الكلاسيكية أن يلحقوا بالحجرة التى يدفن فيها الميت حجرة أخرى أصغر منها حجما ويغلقونها بإحكام . وكانت هذه الحجرة بمثابة مخزن يحتوى على كل أصناف الطعام والشراب . وقد عثر Fiedler فى المخزن الملحق بحجرة الدفن على أعداد كبيرة من القدور وبأحجام مختلفة ، بعضها للخمر وبعضها للزيت والبعض الآخر للقرابين السائلة . كما عثر على مجموعة من الأكواب المصنوعة من الفخار المحروق . ومن الأشياء الطريفة التى عثر عليها بين محتويات ذلك المخزن مرآة مصنوعة من البرونز ، ومصباح صغير قد تم استعماله فعلا(٧٩) .

ولقد حاول البعض التأكد من وصول مايقدمونه للموتى، فقاموا بعمل فتحة صغيرة فى أعلى القبر وأدخلوا فيها أنبوبة، حتى يتأكدوا من وصول المسكوبات للموتى داخل قبورهم(٨٠).

ولقد حفظ لنا ثوكديديس وصفا تفصيليا رائعا لعملية دفن أولئك الذين كانوا يلقون حتفهم فى الحرب البلبونيزية(٨١) . ومنه نعرف أن الأثينيين اعتادوا فى كل شتاء أن يقيموا

احتفالا سنويا كبيرا يتم فيه دفن الموتى فى موكب مهيب . وقبل الاحتفال بيومين كانت تجمع عظام الموتى فى خيمة كبيرة وكان الجميع يقدمون لموتاهم ما شاءوا من القرابين والهدايا . ثم يبدأ الموكب الجنائزى الذى تسير فيه العربات حاملة التوابيت المصنوعة من الخشب للقبر . وكان كل تابوت يحوى عظام الموتى من نفس القبيلة . وكان هناك نعش مخصص لأولئك المفقودين . وكان من المسموح للجميع ، مواطنين وأجانب ، بحضور ذلك الموكب ، كما حضرت السيدات اللائى فقدن قريبا أو عزيزا يبكينه عند القبر . وكانت العظام تدفن فى المقبرة العامة التى توجد فى أجمل موقع خارج أسوار المدينة ، والتى اعتاد الأثينيون أن يدفنوا فيها قتلى الحروب . وبعد أن يتم دفن العظام ، تختار جموع المدينة أحد المشهود لهم بحسن البيان وحسن السمعة كى يلقى خطبة يرثى فيها الموتى ، وبعدها ينصرف الجميع .

ولقد اهتم الإغريق اهتماما كبيرا بتلك المقبرة العامة والقبور الخاصة كذلك ، وحرصوا على تزيينها بالرسوم ووضع شواهد للقبور لبيان شخصية المتوفى . بل لقد زينوا كل ما يوضع مع الميت من أوانى وأكواب وأبدعوا حين زينوا واجهة القبور حتى وصل بعضها إلى درجة من الفخامة وروعة الشكل تقارب ما للمعابد[٨٢] .

ولقد عنى الإغريق بوضع أشياء عديدة فوق القبور وبداخلها وذلك بغرض تجميلها وبيان شخصية المتوفى . ومن أهم الأشكال الفنية الخاصة بالقبور والتى انتشرت عبر بلاد الإغريق ما يعرف بشواهد القبور ، وهى عبارة عن كتلة رفيعة ورقيقة من الحجارة ذات نهاية مدببة[٨٣] . تزينها باقات الزهور سواء بطريقة النحت البارز أو الغائر .

ولقد تطورت شواهد القبور تطورا ملحوظا ، ويرجع أقدم ما تم العثور عليه حتى الآن إلى القرن الثامن ق .م ، لكنه لا يقدم لنا الكثير لسوء حالته[٨٤] . ومن بين ما كتبه أرخيلوخوس (ازدهر بين ٧١٠ - ٦٨٠ق.م.) شاهد لقبر يضم اثنين من الموتى تقول كلماته : أيتها الأرض الطيبة ، فلتضمى بين جنباتك اثنين من أعمدة ناكسوس العظام : « ميجاتيموس وأرسطوطون »[٨٥] . صنعت أنا أدامينوس هذا الشاهد ليظل رمزا للعظمة ، وليدمر زيوس كل من « يحاول تحطيمه »[٨٦] . ولا يأتى ذكر إطلاقا للميت الذى يرقد فى القبر ، وكأن الشاهد وصانعه أكثر أهمية من الميت نفسه . ويفسر السيد C.M . Bowra إغفال شواهد القبور فى هذه الفترة لذكر اسم

الميت برغبة الأهل فى إبعاد الحظ السيء عن روح الميت وجثته وعدم إثارة الآلهة وإشعال غيرتهم ضده[٨٧] .

وظلت شواهد القبور بهذه الصورة بضع سنوات ، ثم تزايد الاهتمام بالميت نفسه وأصبح الشاهد مصدرا لمعرفة المزيد من المعلومات عن المتوفي . فأحد شواهد القبور التى ترجع إلى القرن السادس منقوش عليه : « أيها المواطن ، أيها الغريب القادم من طرق بعيدة ، ارحم تيتخوس الشجاع ثم مر بسلام ، لقد مات فى الحرب وخسر أيام الشباب . ابك عليه ثم امض فى سلام إلى حيث تقودك أعمالك الصالحة »[٨٨] .

ومعظم شواهد القبور فى هذه الفترة تأخذ نفس النمط ، فهى توجه الحديث للمارة وتطلب منهم أن يشفقوا على الميت وأن يتذكروه . ثم بدأت الشواهد تعطى مزيدا من المعلومات عن الميت نفسه مثل «لمبيتو» التى ماتت بعيدا عن وطنهـا ، و«فراسكيليـا» التى تلقب دائما بالعذراء والتى حصلت على هذا الاسم من الآلهة بدلا من الزواج وكذلك « كسينوفانيس » الذى شيد له أبوه هذا القبر « بسبب تقواه وتواضعه »[٨٩] .

ولقد تفاوتت نقوش شواهد القبور بين كلمة « وداعا » فقط وبين كتابة عبارات مطولة يعبر فيها الأحياء عن حزنهم الشديد . فعلى شاهد قبر سيده تدعى ميليتى منقوش : «الوداع – هذه مقبرة ميليتى . أحسن النساء ترقد هنا ، التى أحبت زوجها المحب أوتيموس . ولأنك كنت أكثر من ممتازة فإنه يشتاق إليك بعد موتك . فعلا لقد كنت أفضل النساء » . ومن الغريب أن الكتابة على شاهد القبر تستكمل كالآتى : « وأنت أيضا يا زوجى العزيز وداعا واهتم بأطفالنا[٩٠] . وكأن كاتب القبر يستنطق الزوجة بعد موتها بهذه العبارة .

ولقد شيدت بعض القبور على هيئة واجهة معبد ونحتت صورة المتوفى بالطريقة البارزة فى وسط الأعمدة ، وفى أحيان أخرى كان يتم عمل تمثال نصفى أو كامل للميت بدلا من النحت لكنها لم تنتشر سوى فى العصر المقدونى والرومانى لأنها كانت تتطلب تكاليف باهظة[٩١] .

ولقد حرص الأغريق على تزيين جدران المقابر بتلك اللوحات الجنائزية التى لا تكاد يخلو منها متحف من المتاحف الكبيرة[٩٢] . وتمثل هذه اللوحات – وإن اختلفت فى بعض التفاصيل – رجلا وسيدة جالسين إلى وليمة حافلة بما لذ وطاب من المأكل والمشرب ،

وبينما يجلس الرجل متكئا على الطريقة الإغريقية المعروفة ، تجلس السيدة إلى قدميه ، وإلى جانبها عبد يقدم لهما الخمر[٩٣] .

ولقد أثارت هذه اللوحات جدلا كبيرا ، وتعجب كثير من الدارسين كيف ترسم الولائم والحفلات على جدران القبور ، وكيف تصور المتع الحسية الدنيوية على جدران تلفها برودة الموت . وأسفر الجدل عن ثلاثة آراء رئيسية : فيرى Gardner أن هذه الرسومات تمثل مناظر من حياة المتوفى اليومية[٩٤] . بينما يفسر K.O. Muller هذه المناظر على أنها تمثل النعيم الذى سوف يقيم فيه الأبرار فى العالم الآخر والملذات التى سوف ينعمون بها . فى حين يقف الأستاذ Gerhard حائرا بين أحد احتمالين ، فهو يتكلم أحيانا عن الرسم الجنائزى على أنه للمتوفى ويمثل الملذات التى سوف ينعم بها فى العالم الآخر وفى أحيان أخرى يشير إليه باعتباره يمثل احتفالا يقيمه الأقارب والأصدقاء فى ذكرى المتوفى[٩٥] .

وقد اختلفت القبور كذلك فى الحجم ، فكان بعضها صغيرا ، وكان بعضها كبيرا بحيث يضم خمس أو ست مقصورات للدفن[٩٦] .

وعلى ما يبدو فى الإشارات التى ترد فى المسرحيات الأغريقية ، كان يجوز دفن الرجال والنساء معا . ففى مسرحية « حاملات القرابين » لا يسخولوس ، حين تسمع كليمنسترا نبأ مقتل عشيقها ايجستوس ، تصرخ من شدة الحزن فيقول لها أورستيس متهكما[٩٧] .

« أتحبين زوجك ؟ إذن سوف ترقدين معه فى نفس القبر ...

حتى ، لا تتخلين عنه أبدا ، حتى بعد موته ... » .

وفى مسرحية « ألكستس » ليوربيديس حين يعصر الألم نفس أدميتوس لفراق زوجته الوفية ، يرجوها أن تنتظره ليموت معها بعد أن يأمر بتجهيز تلك الحجرة التى ستضمهما معا ، يقصد القبر ، فهو سيوصى أن يدفن مع زوجته ، حتى يرقد بجانبها إلى الأبد ، وحتى يظل قلبه إلى جانب قلبها ولا يفترقا حتى الموت[٩٨] .

وتكشف المسرحيات مدى قدسية القبور ومكانتها السامية فى نفوس الإغريق : ففى مسرحية « الفرس » يؤكد أيسخولوس أن المحاربين الإغريق كانوا مدفوعين فى حربهم مع الفرس بحماسهم وحميتهم للدفاع عن وطنهم وعن زوجاتهم وأبنائهم ، وكانوا مدفوعين كذلك برغبتهم فى حماية مقدساتهم التى يحرصون على ألا يدنسها معتدى ، وهذه المقدسات هى معابد الآلهة وقبور الأسلاف .

يقص الرسول الفارسى على الملكة ومجلس الشيوخ كيف أن الإغريق كانوا يستنفرون بعضهم البعض وهم يصيحون[٩٩] .

« يا أبناء الإغريق هيا
حرروا وطنكم وحرروا
أبناءكم وزوجاتكم ومعابد آلهة وطنكم
وقبور أسلافكم ، فإن نضالنا الآن من أجل هؤلاء جميعا » .

ونحن نعتقد أن أيسخولوس لم يذكر قبور الأباء بعد معابد الآلهة بطريق الصدفة أو بصورة عشوائية وإنما هو يذكرهما على التوالى انطلاقا من إيمان الأغريق أن القبور لها من القدسية مثل ما للمعابد بل إنهم كثيرا ما تشابها حتى من حيث الشكل المعمارى[١٠٠] .

ولقد تميزت قبور بعض الموتى بقدر عظيم من القدسية والجلال بحيث أصبحت مزارا يأتى إليه الحجيج من كل فج عميق كى يشرف بزيارته ، أو ليطلب منه النبوءة ، أو لينشد مساعدته فى محنة من المحن ، تلك هى قبور الأبطال[١٠١] . ولقد اهتم التراث الإغريقى بمكان موت البطل أكثر من اهتمامه بمكان مولده . لأن قبره سيصبح مركزا لعبادته[١٠٢] .

بل إن بعض الأبطال لهم أكثر من قبر فى أكثر من منطقة[١٠٣] فعندما يموت أحد الأشخاص من ذوى المكانة الرفيعة تتسابق المدن فى نسبته إلى نفسها وتبنى كل منها قبرا وتدعى أنه يضم رفاته ، وذلك فى محاولة لاكتساب بعض الأهمية والمكانة الخاصة لوجود قبر ذلك البطل على أراضيها[١٠٤] . لذلك كله ، لم يكن ظهور القبر فى المسرحيات الإغريقية مستغربا من قبل المشاهدين ، بل هو فى الحقيقة يعادل ظهور المذبح المقدس فيما يبعثه فى المشاهد من جلال ورهبة[١٠٥] .

فقد ظهر قبر أجاممنون فى مسرحية « حاملات القرابين » وبجواره تعاهد أورستيس وألكيترا على الانتقام لأبيهما[١٠٦] . وفى مسرحية « عابدات باكخوس » ليوربيديس يتوسط قبر سيميلى المسرح ، وأولى الكلمات التى ينطق بها الإله ديونيسوس تدور حول إعزازه لكادموس لأنه حافظ على قدسية ذلك القبر وجعله ضريحا ومزارا[١٠٧] .

ويبدو أن ايسخولوس فى مسرحية « حاملات القرابين » شعر بطول الحوار بين أليكترا وأورسيتس بجانب قبر أجاممنون ، فجعل الكورس يخاطب أورستيس قائلا « إنه ما من أحد يلومه على طول حديثه عن ذلك القبر المهمل والمصير الذى لم يحزن عليه أحد[١٠٨] . وكأنه يتخذ من قداسة القبر ومكانته الجليلة عذرا لتوقف الأحداث لفترة طويلة .

وفى نفس المسرحية تقول اليكترا عن قبر أبيها[109] .

« إن قبرك مأوى قد استقبل الضارعين
والمطرودين ومن على شاكلتهم » .

وهو ما يؤكد أن قدسية القبر من قدسية المحراب ، فهو الملاذ والملجأ الذى يلجأ إليه المتضرعون ومن يطلبون الحماية ، فلا يجوز الاعتداء عليهم طالما هم فى حمى ذلك المكان المقدس . ولقد ورد نفس المعنى حول قدسية القبر على لسان الكورس من قبل حين أكد أنه يقدس قبر أجاممنون كما لو كان محرابا[110] .

وبقدر ما قدس الإغريق القبور بقدر ما استهجنوا العبث بها وانتهاك حرمتها على أى صورة من الصور ، وهو ما يكشف عنه غضب أليكترا الشديد من تصرفات أيجستوس . فى مسرحية « أليكترا » ليوربيديس تثور ثائرة أليكترا ، وتطلب من الغريب الذى جاء يحمل أخبارا من أورستيس (وهو فى الحقيقة أورستيس نفسه) تطلب منه إخبار أورستيس بما يفعله أيجستوس فى قبر أجاممنون ، فحين تلعب الخمر برأسه يذهب إلى قبر أجاممنون ويقفز فوقه ثم يقذف شاهد القبر الرخامى بالحجارة ، وهذا العبث بحرمة القبور يوجب الانتقام ممن يقوم به[111] .

وعندما تصف أليكترا أورستيس بأنه فخر وشرف[112] ، لقبر أبيهما أجاممنون ، فإنها بهذه الكلمات تعكس تصور الإغريق لدور الأبناء فى رعاية آبائهم حتى وهم فى القبور[113] . فقد اعتبر العرف الإغريقي أن اهتمام الأبناء بأبائهم ورعايتهم لهم لا يتوقف بموت الآباء ، وإنما يجب أن يستمر الأبناء على ولائهم لآبائهم وذلك باستمرار اهتمامهم بقبورهم وتقديم القرابين لهم بصورة منتظمة ، وهو ما يثلج صدور الآباء فى عالمهم الآخر[114] .

وبالرغم من أنه من بدايات القرن الخامس ق .م . كان الاعتقاد فى أن الموتى يحتاجون للمأكل والمشرب قد بدأ يتزعزع ، إلا أن قرابين المأكولات والمشروبات ظلت أوسع أشكال القرابين انتشارا[115] . لقد احتوى التقويم الأثينى على العديد من الأعياد التى يقوم فيها الأحياء بتقديم كافة أنواع القرابين للموتى . من بين الأعياد عيد يسمى احتفال عيد الميلاد وهو احتفال سنوى تحتفل فيه كل عشيرة بذكرى موتاها وتقيم وليمة جنائزية كبرى[116] . فى حين كان العيد المسمى عيد الموتى أكثر مأساوية من الاحتفال السابق ، وكان يخيم عليه الحزن ومظاهر الحداد ، وفيه تقدم للموتى القرابين السائلة ، وقرابين أخرى مثل

الفاكهة والأزهار[١١٧] . كما كان هناك عيد الانثيستيريا الذى كان يستمر ثلاثة أيام . وفى اليوم الثالث كانت تقام وليمة ضخمة للأرواح ، لتعود بعدها إلى عالمها سعيدة منتشية[١١٨] .

ولقد كانت القرابين السائلة أو المسكوبات أشهر أنواع القرابين الإغريقية ، وكانت تتكون من مزيج من العسل واللبن والخمر[١١٩] . وكان يطلق عليها اسم Choe وهو الاسم الذى اشتق منه اسم مسرحية أيسخولوس « حاملات القرابين » .

ويكشف علم الآثار عن عادة وضع قرابين الزهور على قبور الموتى أو تزيين القبور بالزهور[١٢٠] . لكن المسرحيات الإغريقية تعطينا تصورا كاملا لهذه العادة وتجعلنا أكثر فهما لها . فتكثر الإشارة فى المسرحيات إلى تزيين القبور بالزهور مما يعطينا انطباعا بأنها كانت من العادات الشائعة فى أثينا فى القرن الخامس ق .م . ففى مسرحية « الفرس » لأيسخولوس تحضر الملكة أتوسا العديد من القرابين التى تضعها على قبر الملك الراحل داريوس ، وتذكر من بين هـــذه القرابين أكاليل الزهور التى نبتت فى أحضان الأرض[١٢١] .

إن ظهور شخصيات غير إغريقية فى المسرحيات الإغريقية يثير بعض الجدل ، إذ يتساءل الدارسون عما إذا كانت هذه الشخصيات الأجنبية تعكس قيمًا وعادات غير أغريقية ، أى عادات وقيم تلك المجتمعات التى تنتمى إليها ، أم أن الكاتب يلبسها ثوبا إغريقيا ويصوغها فى تناسق مع المجتمع الذى ينتمى إليه ؟ .

وستظل هذه الشخصيات تثير هذا التساؤل ، وسيظل الجدل قائما ولن ينتهى إلى نتيجة قاطعة ، لأن كل جيل يقرأ المسرحيات يخرج بأفكار جديدة ، فيتجدد الجدل ولا ينتهى .

ولكن فيما يتعلق بجزئية القرابين التى تقدمها الملكة أتوسا لروح داريوس ، فإننا نعتقد أن أيسخولوس قد ألبس الملكة ثوبا أغريقيا وجعلها تقوم بكل ما يقوم به الإغريقى من شعائر وعادات وخاصة فيما يتعلق بالقرابين التى تقدمها لروح الملك الراحل . فهى تقدم له اللبن الناصع البياض ، والشهد النقى ، والماء القراح والنبيذ المعتق بالإضافة إلى بعض حبات الزيتون ذات الرائحة العطرة وأكاليل الزهور الجميلة[١٢٢] ، وكلها مما شاع تقديمه كقرابين اغريقية .

ولو أراد ايسخولوس أن يجعلها تمارس العادات الفارسية فيما يتعلق بالقرابين لجعلها تقدم لروح داريوس ذلك الشراب المسكر الذى اعتاد الفرس تقديمه كقرابين للموتى والمسمى Haome[١٢٣] . ولجعلها كذلك تقدم له السيوف الفارسية القصيرة والحلى

الذهبية المحلاة بالأحجار الكريمة ولوحات النسيج والملابس البابلية التى اعتاد الفرس تقديمها للموتى . كما كان من عادة الفرس ذبح حصان كل شهر قربانا لذوى المكانة والمنزلة بينهم[١٢٤] .

لذلك نعتقد أن ما قدمته أتوسا لداريوس كانت قرابينا اغريقية صميمة ، خاصة الزهور ، وهو ما تؤكده الإشارات العديدة لوضع باقات الزهور للموتى من قبل شخصيات اغريقية . فحين تذهب خريسوثيميس إلى قبر أبيها تجده وقد زين بأكاليل من الزهور[١٢٥] .

وفى مسرحية « أورستيس » ليوربيديس يقول تنداريوس أنه جاء ليضع الزهور على قبر ابنته[١٢٦] ، ويشار إلى قرابين الزهور مرة أخرى فى نفس المسرحية أثناء حديث أليكترا وهرميونى[١٢٧] .

وإذا كان وضع باقات الزهور فوق قبور الموتى من الأشياء المألوفة لنا والتى تمارسها العديد من المجتمعات ، فقد عرف الإغريق نوعا آخر من القرابين قد يبدو غريبا بالنسبة لنا ، نعنى به تقديم خصلة من الشعر قربانا ودليلا على الحب والوفاء وعلى تذكر الأحياء للموتى .

ففى مسرحية « أليكترا » ليوربيديس يقول أورستيس لأخته[١٢٨] .

« وأثناء تلك الليلة ذهبت إلى قبر أبى
وقدمت إليه دموعى ، وقصصت خصلة من شعرى » .

كذلك فى مسرحية « أليكترا » لسوفوكليس ، يقدم أورستيس لأبيه القرابين السائلة وخصلة من شعره أيضا ، فهو يخاطب أخته قائلا[١٢٩] :

« إننا سوف نزين قبر أبينا ، كما أمر ،
بهذه المسكوبات فى البداية ، ثم بخصلات مقصوصة
من الشعر الغزير » .

وفى موضع آخر من نفس المسرحية ، تقول أليكترا إنها سوف تضع على قبر أبيها قربانا بسيطا ، لكنه كل ما تملك ، سوف تضع خصلات من شعرها الغزير ونطاقها البسيط الخالى من كل زين وزركشة[١٣٠] .

وكما سبق وأشرنا[١٣١] ، فقد كان لبس السواد وقص الشعر من أهم مظاهر الحداد فى المجتمع الإغريقى ، لذلك فإن قيام شخص ما بوضع خصلة من شعره فوق القبر ، لهو تعبير بليغ عن مدى الحزن الذى أصابه لفقده وعن الصلة الوثيقة بين واضع الخصلة وذلك الذى يرقد فى القبر .

بل إن خصلة الشعر التى وضعها أورستيس على قبر أبيه تلعب دورا هاما فى البناء الدرامى للمسرحية ، وتسهم فى تطور الأحداث ، فعن طريق هذه الخصلة تعرف أليكترا أن أورستيس قد عاد ، لأنه ما من شخص يجرؤ على التعبير عن حزنه لفقد أجاممنون بهذه الصورة العلنية سوى أورستيس ، الإبن الغائب[١٣٢] .

ولا يعنى ذلك أن الإغريق لم يعرفوا دافعا لتقديم القرابين للموتى سوى دافع الحب والوفاء لهم ، ففى بعض الحالات ، كان الخوف هو الدافع الأول والأخير ، وكان تهدئة الأرواح واسترضاؤها هو الهدف من تقديم[١٣٣] القرابين. وفى الواقع فإن القرابين التى تبعث بها كلمينسترا لقبر أجاممنون هى مثل جيد على هذه الحالة .

فهذه الزوجة الخائنة التى قتلت زوجها بالاتفاق مع عشيقها ، تصحو من نومها مذعوره من هول ما رأت فى منامها ، فيكون أجاممنون وقبره أول ما يتبادر إلى ذهنها فتبعث مع أليكترا بعض القرابين لتضعها على قبر أجاممنون لعل ذلك يهدئ من ثورة غضبه فلا يرسل لها الأحلام المفزعة .

فكليمنسترا لا تبعث تلك القرابين حبا ووفاء لذكرى زوجها ، وإنما هى مجرد علاج ينهى آلامها كما يقول الكورس[١٣٤] .

لذلك كان من الطبيعى أن تصاب أليكترا ، حاملة القرابين ، بالحيرة . وتلجأ إلى الكورس تسأله عما تقول أثناء وضع هذه القرابين على قبر أبيها .

فقد جرت العادة على ألا تكون عملية تقديم القرابين للموتى عملية صامتة وإنما كان على المحيطين بالقبر أن يرفعوا أصواتهم بالبكاء والعويل ، وأن ينهوا صب القرابين بصلاة يطلبون فيها من روح الميت أن يسبغ عليهم الخير فى مقابل ما قدموه لها من هدايا وقرابين[١٣٥] .

فكيف تتلو أليكترا تلك الصلوات وهى تعلم أى دافع جعل أمها ترسل هذه القرابين لقبر من قتلته بيديها ؟ .

أما فى مسرحية « أليكترا » التى كتبها سوفوكليس ، فإن خريسوثيميس هى التى تحمل قرابين كليتمسترا ، وعندما تراها أليكترا حاملة تلك القرابين تؤكد لها أن روح أبيها لن ترحب بقرابين أرسلتها له من سلبته الحياة(١٣٦) .

ويتساءل عالم النفس G. Devereux لِمَ لَمْ تقدم كليمنسترا ، – رغم ثرائها – أحد الحيوانات قربانا ليذبح على قبر أجاممنون وآثرت أن تقدم المسكوبات فقط ؟(١٣٧) .

ويأتى الجواب من تصور الإغريق أن أرواح الموتى حين تشرب الدماء تنتعش وتنتشى . فالدماء تعيد الحيوية للأرواح الذابلة ، وتدفع بالقوة فى العروق الخامدة(١٣٨) . وهذا بالطبع آخر ما تتمنى كليمنسترا القاتلة أن يحدث لروح قتيلها . لذلك قدمت مزيج الخمر واللبن والعسل أملا فى تهدئة روح أجاممنون .

لكن هيهات أن يتحقق لها ذلك الأمان الذى تنشده لمجرد أنها قدمت القرابين لقتيلها ، بل إن أليكترا تتعامل مع قرابينها تلك باحتقار شديد ، لأنها فقدت القدسية التى كان ينظر بها الإغريق للقرابين التى يقدمها الأهل والأقارب للموتى وللآلهة الأرضية . ولم يكن من الغريب أن تصف أليكترا هذه القرابين بأنها نفايات Katharmata(١٣٩) ، وهى المخلفات التى يلقى بها بعد إجراء شعائر التطهر لتخليص شخص من الدنس الذى لحق به(١٤٠) .

فقرابين كليمنسترا لم تكن أكثر من محاولة لتطهير يديها وقلبها من دنس القتل ، علّ أجاممنون يرحمها ويكف عن أرسال الأحلام المزعجة لها ، فاستحقت أن ينظر لها باحتقار سواء من الكورس أو من أليكترا .

بقيت نقطة أخيرة نود أن نلقى الضوء عليها ، وهى عادة تقديم القرابين البشرية .

إن قصة تقديم أفيجينيا قربانا للربة أرتميس حتى تبعث بالريح المواتية لإبحار الأسطول الإغريقى والتى ذكرها هوميروس فى « الإلياذة » هى من القصص الشهيرة التى شغلت خيال شعراء الإغريق ، فكانت السبب فى انتقام كليمنسترا وقتلها لزوجها فى مسرحية « أجاممنون »(١٤١) . كما تناولها يوربيديس تفصيلا ، حين أفرد لها مسرحية كاملة هى مسرحية « أفيجينيا فى أوليس »(١٤٢) .

كما تشير مسرحية أخرى ليوربيديس ، هى مسرحية « أبناء هرقل » إلى ضرورة تقديم فتاة من أصل كريم قربانا لبرسيفونى إلهة العالم الآخر(١٤٣) .

ولم تكن القرابين البشرية قاصرة على الآلهة ، بل كانت تقدم كذلك للموتى . وتحفظ لنا المسرحيات قصة تقديم بولوكسينا قربانا على قبر أخيليوس حتى تهدأ روحه وتسمح للسفن بالمرور(١٤٤) .

وقد يقول قائل إن عادة تقديم قرابين بشرية للآلهة وللموتى مارسها الإغريق فى عصور سحيقة وأنها انتهت ولم يعد إغريق الفترة الكلاسيكية يعرفونها ، لكن بلوتارخوس يحفظ لنا قصة تقديم ثلاثة من السجناء قربانا للآلهة أثناء الحرب . وهو يحكى كيف أن ثيوستكليس كان يعارض تقديم قرابين بشرية ، لكن جموع الشعب - كما يحدث دائما فى أوقات الأزمات - كانت مستعدة للقيام بكل ما كانت تتصور أن فيه خلاصها(١٤٥) .

ولقد أكدت أحدث الاكتشافات الأثرية ، والتى قام بها العالم الأثرى Sakellarakes عام ١٩٨٠ ، أن ظاهرة تقديم قرابين بشرية فى بلاد الإغريق ليست وقفا على العصور الميثولوجية ، وما قبل التاريخ ، بل كانت تمارس كذلك فى العصور التاريخية من حضارة ذلك الشعب(١٤٦) .

ويعلق M. P. Nilson على عادة تقديم القرابين البشرية بقوله إن القربان الآدمى هو أغلى أنواع القرابين ولا تدانيه أى صورة من صور القرابين لهذا لجأ إليه الإغريق عند الشدة أو عند اتخاذ القرارات المصيرية(١٤٧) .

وعلى ذلك يمكننا أن نقول إن الأغريق ، مثلهم مثل العديد من الشعوب ، مارسوا عادة تقديم قرابين بشرية سواء للآلهة أو للموتى ، ولكن مع ازدياد الرقى الحضارى تحولت تلك القرابين البشرية إلى قرابين حيوانية وإلى شتى أنواع القرابين التى اعتادوا تقديمها لآلهتهم ولموتاهم .

لكن الأزمات والكوارث كانت تردهم بعنف إلى أولى درجات السلم الحضارى فلا يجدون مناصا، ولا يجدون حرجا فى تقديم القرابين البشرية رغبة فى الخروج من الأزمة المدلهمة التى يعانون منها .

الهوامش :

(١) سوفوكليس : « أنتيجونى » ٢١ – ٣٠ .

(٢) سوفوكليس : « أياس » ١٣٣٢ – ١٣٣٣ ، ١٣٤٢ – ١٣٤٤ .

(٣) يوربيديس : « المستجيرات » ١٦ – ١٩ ، ٢٤ – ٢٧ .

(٤) ايسخولوس : « الفرس » ١٠٠٥ – ١٠١١ ، سوفوكليس : أنتيجونى ٢١ – ٢٦ « اياس » ٨٢٤ – ٨٣٠ ، يوربيدس : « هيكابى » ٢٧–٣٠ « المستجيرات » ٥٣١–٥٣٥ .

(٥) يوربيديس : « المستجيرات » ٥٣١ – ٥٣٦ .

(٦) Homer . IL . XVI 856 ff .

(٧) Ibid . XXII , 362 .

(٨) Idem : Ody . XI 71 - 78 .

ولقد استمرت هذه الفكرة سائدة حتى فى التراث الرومانى « فتكثر فى الانيادة » الإشارة إلى أن الملاح خارون لم يكن يحمل فى قاربه سوى من تم دفنهم من الموتى .

Virgil : Aen . VI , 310 - 330 , 340 - 370 .

(٩) يوربيديس : « المستجيرات » ١٩ ، ٥٢٦ .

19 , 526 , Thucydides : IV , 97 , See also Guhl & Koner Op . Cit . P . 287 .

(١٠) Homer . IL . VI . 416 - 420 .
See also Guhl & Koner . Op . Cit . P . 287 .

د . لطفى عبد الوهاب : « عالم هوميروس » مجلة عالم الفكر – المجلد الثانى عشر ، العدد الثالث سنة ١٩٨١ . ص ٦٤٦ .

(١١) يوربيديس : « المستجيرات » ٥٣٧ – ٤٥٠ .

(١٢) سوفوكليس : « اياس » ١٣٤٣ – ١٣٤٥ .

(١٣) يوربيديس : « الفينيقيات » ١٣٢٠ – ١٣٢١ .

(١٤) سوفوكليس : « أوديب ملكا » ١٤٤٦ – ١٤٤٨ .

(١٥) سوفوكليس : « أوديب فى كولونوس » ١٤٠٨ – ١٤١٣ .

(١٦) يوربيديس : « ميديا » ١٣٧٧ – ١٤١١ .
(١٧) ايسخولوس : « سبعة ضد طيبة » ١٠١٩ – ١٠٢٠ ، ١٠٢٨ – ١٠٢٩ .
(١٨) المصدر السابق ١٠١٢ – ١٠٢٤ .
(١٩) E. Guhl & W. Koner: Op. cit P. 288 .
(٢٠) Greene, W.C. Moira, Fate, Good and Evil in Greek Thought, P. 207 .
(٢١) ظهر رأى أنتيجونى هذا فى مسرحية ايسخولوس بصورة أقل وضوحا مما يظهر فى مسرحية يوربيديس الفينيقيات . حيث يؤكد يوربيديس أن بولونيكيس صاحب حق ، فى حين أن اتيوكليس يتحمل وزر ما حدث وذلك لرفضه التنازل عن العرش لأخيه مدة عام حسب الاتفاق المبرم بينهما .
يوربيديس : « الفينيقيات » ١٥٤ ، ٢٥٦ – ٢٦٠ ، ٤٥٢ ، ٤٩١ – ٤٩٣ .
(٢٢) ايسخولوس : « سبعة ضد طيبة » ١٠١٢ – ١٠٢٤ .
(٢٣) Spencer, A.J.: Death in Ancient Egypt. P. 30; Budge E. A.W: The Gods of the Egyptians, Vol 1, P. 170; Idem Egyptians Religion P. 167.
(٢٤) Olmstead, A.T.: History of the persian Empire P. 18.
(٢٥) Ibid. P. 17 .
(٢٦) Guhil & Koner: Op. Cit. P. 289.
(٢٧) Homer: Ody. XI, 425 - 426.
(٢٨) Rose, H.J.: Ancient Greek Religion, P. 52.
(٢٩) Homer: IL. XXIV 720 - 722 .
(٣٠) كانت فترة العرض تطول أو تقصر طبقا لمكانة الميت . فقد عرضت جثة أخيليوس لمدة ١٧ يوما فى حين جثة هكتور لمدة ٩ أيام فقط .
(٣١) المصدر نفسه ٤٨٩ – ٤٩١
(٣٢) Plutarch: , Solon, 21 - P. 64.
(٣٣) سوفوكليس : « أنتيجونى » ٤٢٩ – ٤٣١ .
(٣٤) المصدر السابق ١٢٠٠ .
(٣٥) المصدر السابق ١٢٠١ .
(٣٦) المصدر السابق ١٢٠٣ .
(٣٧) سوفوكليس : « اياس » ١٤٠٨ – ١٤١٠ .

(٣٨) المصدر السابق ٥٧٧ .

(٣٩) Nillson , M .P . : The Minoan - Mycenaean Religion , PP . 34-36 .

(٤٠) Rose , H .J . : Op . Cit . P . 49 .

(٤١) يوربيديس : « الكسنس » ٦٠٥ – ٦٠٧ ، ٦١٨ – ٦٢٠ .

(٤٢) يوربيديس : « هيكابى » ٦٠٩ – ٦١٦ .

(٤٣) Guhl & Koner , Op . Cit . P . 292 .

(٤٤) Rose , H .J . : Op . Cit . P . 50 .

(٤٥) Guhl & Koner : Op . Cit . P . 293 .

أنظر أيضًا : د . لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ص ٦٤٧ .

(٤٦) Barnett , R .D . : Elements orientaux dans la religion grecque Anceinne , P . 143 ; Burn , A .R . ; History of Greece , PP . 47-48 ÎMycenaean chiefs buried their dead with costly grave-goods , Homer's heroes invariably use cremation , followed by urn-burial of the ashes under a barrow , which may be marked by a standing stone" .

(٤٧) The Book of the Dead , P .L . VIII ; spencer , A .J . : Death in Ancient Egypt . PP . 126-127 .

(٤٨) Guhl & Koner : Op . Cit . P . 292 .

(٤٩) Thucydides : II , 52 .

يقول ثوكوديديس إنه لكثرة الموت لم يعد أحد يراعى تقاليد الدفن المتوارثة ، بل قام الأثينيون بأحط التصرفات لحرق موتاهم ، فكثيرا ما قام بعضهم بالذهاب مبكرا إلى محرقة أقامها غيرهم وقاموا بحرق فقيدهم فيها ، وكان بعضهم يلقون فقيدهم فى محرقة يتم فيها بالفعل حرق جثة أخرى ثم يولون الإدبار .

(٥٠) سوفوكليس : « اليكترا » ٥٦ – ٥٨ .

(٥١) يوربيديس : « المستجيرات » ٩٤٨ – ٩٤٩ .

(٥٢) يوربيديس : « اورستيس » ٤٠٤ .

(٥٣) يوربيديس : « ريسوس » ٩٥٨ – ٩٦٠ .

(٥٤) ايسخولوس : « حاملات القرابين » ٢٦٧ – ٢٦٨ .

(٥٥) سوفوكليس : « اليكترا » ١١٤١ – ١١٤٢ .

(٥٦) المصدر السابق ١١٣٨ – ١١٤٠ .

(٥٧) يوربيديس : « ايفجينيا بين التاوريين » ٦٣١ – ٦٣٥ .

(٥٨) يوربيديس : « المستجيرات » ٧٨ .

(٥٩) المصدر السابق ٧٦ – ٧٧ « هيليني » ١٠٨٨ – ١٠٨٩ .

(٦٠) ايسخولوس: «الفرس» ١٢٠-١٢٥، ٥٣٧-٥٤٠، يوربيديس «اليكترا» ١٤٣-١٤٩.

(٦١) يوربيديس : « هليني » ١٠٨٧ .

(٦٢) يوربيديس : « الكستس » ١٠١ – ١٠٣ .

(٦٣) يوربيديس : « أورستيس » ٤٥٧ – ٤٥٨ « وكان تينداريوس الإسبرطى متشحا برداء أسود ومقصوص شعر الرأس حدادا على ابنته » .

(٦٤) يوربيديس : « الكستس » ٤٣٠ – ٤٣١ .

(٦٥) المصدر السابق ٣٣٦ – ٣٣٧ .

(٦٦) المصدر السابق ٤٣٠ – ٤٣١ .

Gardner, P.: A Sepulchral Relief from Tarentum" JHS Vol. V, 1884, P. 129 .

(٦٧) تنفى السيدة اديث هاملتون عن الإغريق اهتمامهم بالموت وبكل ما يتعلق به مثل الاهتمام بالقبور . وتؤكد أن اهتمامهم الأول والأخير كان بالحياة فقط .

Hamilton, E.: The Greek Way. PP. 9-11, 20 .

(٦٨) ايسخولوس : « حاملات القرابين » ٥١٠ – ٥١١ ، ١٠٦ –١٠٧ .

Meautis, C.: L'Odipe a colone et le culte des Heros, P. 13; Harrison, J.: Prolegomena, PP. 464-465; and whitman, C.H.: Sophecles, a Study of Heroic Humansim, P. 194.

(٦٩) Gardner, P.: Op. Cit. P. 129; Guhl & Koner: Op. Cit. P. 287.

(٧٠) Reinach, S.: Cults, Myths and Reinach,S.:Cults, Myths & Religions, P. 120 .

(٧١) Gardner, op. cit.: P. 134.

(٧٢) Guhl & Koner: Op. Cit. P. 84.

(٧٣) Thucydides: 11, 34.

(٧٤) يوربيديس : « ريسوس » ٤١٤ .

(٧٥) Guhl & Koner: Op. Cit. PP. 86-87.

(٧٦) Gardner, P. Op. Cit. P. 134.

(٧٧) Guhl & Koner: Op. Cit. P. 89.

(٧٨) ارستوفانيس : الضفادع ١٤٠ وما بعده

Homer : IL . VIII , 368 , Graves , R : The Greek Myths , Vol I , P . 120 .

(٧٩) Guhl & Koner : Op . Cit . P . 91 .

(٨٠) Gardner , p.: op cit p12. ; Rose , H .J . : Op . Cit . PP . 36-37 .

(٨١) Thucudides , II , 34 .

(٨٢) Guhl & Koner : Op . Cit . PP . 91-93 .

(٨٣) Gardner , P . ; Op . Cit . P . 107 .

(٨٤) Bowra , C .M . Erarly Greek Elegists , P . 173 .

(٨٥) Frag , 17 .

(٨٦) Bowra , C.M . : Op . Cit . P . 175 .

(٨٧) Ibid . P . 176 The dead man's name is not given in case it might bring bad luck to his corpse or spirit . The silence is a way of averting the jealousy of the Gods" .

(٨٨) Bowra , C .M . : Early Greek Elegists P . 177 .

(٨٩) Ibid . P . 180 .

(٩٠) Dickinson , G .L . : The Greek view of life , P . 38 .

(٩١) Guhl &4 Koner : Op . Cit . P . 95 .

(٩٢) Gardner , P . Op . Cit . P . 107 .

(٩٣) Gardner, P.:Op. Cit. P. 110;Gods and Heroes in the Alhenian Agora,pp.28-29 .

(٩٤) Gardner , P . : Op . Cit . P . 124 .

(٩٥) Aud Gardner , P . : Op . Cit . P . 108 .

(٩٦) Guhl & Koner : Op . Cit . P . 160 .

(٩٧) ايسخولوس : « حاملات القرابين » ٨٩٤ — ٨٩٥ .

(٩٨) يوربيديس : « الكستس » ٣٦٣ — ٣٦٧ .

(٩٩) ايسخولوس : « الفرس » ٤٠٢ — ٤٠٥ .

(١٠٠) Guhl & Koner : Op . Cit . PP . 90-93 .

(١٠١) Gods and Heroes in the Athenian Agora . P . 24 .

(١٠٢) Harrison , J . : prolegomena P . 464 .

(١٠٣) Herodotus : V , 67 .

(١٠٤) Nilsson, M.P.: The Mycenaean origin of Greek Mythology, P. 113.

(١٠٥) Meautis, G.: Op. Cit. P. 13.

(١٠٦) ايسخولوس : « حاملات القرابين » ٤٥٥ وما بعده .

(١٠٧) يوربيديس : « عابدات باكخوس » ١٠-١١ .

(١٠٨) ايسخولوس : « حاملات القرابين » ٥١٠ - ٥١١ .

(١٠٩) المصدر السابق ٣٣٦ - ٣٣٧ - هذان السطران وردا بهذا التقسيم فى طبعة Teubner التى نشرها H. Weil عام ١٩٠٩ فى حين أن Dindorfii أوردهما فى سطر واحد فى طبعته التى نشرها عام ١٨٨١ .

(١١٠) ايسخولوس : « حاملات القرابين » ١٠٦ .

(١١١) يوربيديس : « اليكترا » ٣٢٦ - ٣٢٨ .

(١١٢) ايسخولوس : « حاملات القرابين » ٢٠٠ .

(١١٣) Rose, G.J.: Op. Cit. P. 26.

(١١٤) Nilsson, M.P.; Greek piety, P. 5.

(١١٥) Idem: La Religion populaire dans la Crece Antique, P. 55.

(١١٦) Farnell, L.R.: The cults of Greek states P. 23.

(١١٧) Idem: The Higher Aspects of Greek Religion P. 66.

(١١٨) Murray, G.: Five stages of Greek Religion PP. 14-15; Harrison, J.: Prolegomena P. 36.

(١١٩) Homer: Ody.X 518, X 126.

ايسخولوس : « الفرس » ٦٠٩ - ٦١٥ ، ١٤٩ ، ٥٣٨ .

سوفوكليس : « اليكترا » ٨٩٢ - ٨٩٤ .

(١٢٠) Guhl & Koner: Op. Cit. P. 179. The head and bier of the dead were also crowned with fresh wreaths of myrtle and ivy. The Luxury of later times changed the wreaths of flowers for golden ones, with regard to the head of richer classes".

لمزيد من المعلومات حول حرفة صناعة باقات الزهور انظر :

Hopper. R.J.: Trade and Industry in classical Greece PP. 64-65.

(١٢١) ايسخولوس : « الفرس » ٦١٨ .

(١٢٢) المصدر السابق ٦١١ - ٦١٨ .

(١٢٣) Olmstead, A.T.: History of the Persian Empire. P. 28.

(١٢٤) Ibid. PP. 66-67.

(١٢٥) سوفوكليس : « اليكترا » ٨٩٥ – ٨٩٦ .

(١٢٦) يوربيديس : « اورستيس » ٦١٠ .

(١٢٧) المصدر السابق ١٣٢٢ .

(١٢٨) يوربيديس : « اليكترا » ٩٠ – ٩١ .

(١٢٩) سوفوكليس : « اليكترا » ٥١ – ٥٣ .

(١٣٠) المصدر السابق ٤٥٠ – ٤٥٢ .

(١٣١) انظر ص ٢٣ – ٢٤ من نفس الفصل .

(١٣٢) سوفوكليس : « اليكترا » ٨٩٩ – ٩٠٠ .

(١٣٣) Harrison . J . : Prolegomena PP . 55-56 .

(١٣٤) ايسخولوس : « حاملات القرابين ٥٣٨ – ٥٣٩ .

(١٣٥) المصدر السابق ١٤٩ – ١٥١ .

(١٣٦) سوفوكليس : « اليكترا » ٤٤٢ – ٤٤٥ .

(١٣٧) Devereux, G. Dreams in Greek Tragedy. PP.191-192.

(١٣٨) Homer: Ody. XI., 32.

(١٣٩) ايسخولوس : « حاملات القرابين » ٩٨ .

(١٤٠) Devereux . G . : Op . Cit . P . 199

(١٤١) ايسخولوس : « أجاممنون » ١٤١٦ – ١٤١٨ .

(١٤٢) يوربيديس: «ايفجينيا فى أوليس» ١١١٠–١١١٤،١١١٧،١٣١١–١٣١٩.

(١٤٣) يوربيديس : « أبناء هرقل » ٤٨٩ – ٤٩١ .

(١٤٤) يوربيديس : « هيكابى » ٣٦ – ٤١ .

(١٤٥) Plutarch : Themistocles . 13 .

(١٤٦) د . محمود السعدنى « العلاقات المصرية اليونانية » ص ٤٥ – ٤٦ مقالة ضمن مجلد « مصر وعالم البحر المتوسط ، إعداد وتقديم د . رؤوف عباس ، دارالفكر ١٩٨٦ . وبالإضافة إلى المقالة فقد قامت رسالتان للكتوراه بدراسة موضوع القرابين البشرية وخرجتا بنتيجة تؤكدان بهما انتشار هذا الطقس فى أماكن عدة من بلاد الإغريق مثل رودوس وأثينا ومسينيا وليكادا وإسبرطة . د . محمود السعدنى : الحضارة الهلينية ص ٩٤–٩٥ .

(١٤٧) Nilsson , M .P . Religion pepulaire P . 52 .

الفصل الثانى

صورة العالم الآخر
فى المسرح الاغريقى

الفصل الثانى

صورة العالم الآخر فى المسرح الإغريقى

منذ أن أدرك الإنسان حتمية الموت ، شغل تفكيره بمشكلة ما بعد الموت ، لأنه لم يستطع أن يستوعب فكرة أنه بموته ينعدم وجوده تماما ويتلاشى كأن لم يكن .

إن التفكير فى الحياة الأخرى أو الوجود بعد الموت تأكيد لأهمية الحياة نفسها فلو أن حياة البشر انتهت بموتهم ، لكانت الحياة نوعا من العبث الذى لا معنى له ولا هدف .

ولقد شغل التفكير فى العالم الآخر ، عالم ما بعد الموت ، ذهن الإنسان فى كل زمان ومكان[1] ، ورغم أن كل شعب اختلف عن الشعب الآخر فى تصوره لذلك العالم ، فإن الجميع أجمعوا على وجوده . وعندما حاولت بعض الاتجاهات الفلسفية أن تنكر وجود حياة ما بعد الموت[2] ، لم يكتب لها النجاح ، وبقى إيمان الإنسان بوجود عالم آخر ، لأن الإنسان نفسه محتاج للإيمان بأن حياته لن تنتهى بموته وإنما ستكون لها بقية فى عالم آخر حيث يعيش فيه إلى الأبد .

ولقد كان هوميروس أول من قدم للإغريق تصوره لهذا العالم ، وحكى لهم قصة خلقه . ففى « الإلياذة » يحكى بوسيدون قصة خلق الكون فيقول إن الاخوة الثلاثة زيوس وهاديس وبوسيدون ولدوا من أبوين هما كرونوس وريا ، وقسمت بينهم جميعا الأشياء ، فأخذ كل منهم منطقته المخصصة له عن طريق القرعة[3] ، فكان البحر من نصيب بوسيدون ، وكانت السماء الفسيحة والاثير من نصيب زيوس ، أما الظلام الدامس فكان من نصيب هاديس[4] .

فأول ملامح الصورة التى يرسمها هوميروس للعالم الآخر هى الإظلام ، فالشمس الساطعة لا تصافح أشعتها وجوه الموتى سواء فى صعودها إلى كبد السماء ، أو حينما تهبط مرة أخرى إلى حضن الأرض ، إنما يلف الموتى التعساء ظلام حالك[5] .

والسمة الثانية للعالم الآخر عند هوميروس هى الكآبة . فعندما يلتقى أوديسيوس بروح العراف ترسياس ، تكون أولى الكلمات التى يخاطبه بها العراف هى[6] :

« ما خطبك أيها التعس ، لماذا تركت ضوء الشمس
وقدمت إلى هنا ، لترى الموتى ومنطقة لا مرح فيها ؟ » .

فمملكة الموتى ، كما يصورها هوميروس ، مكان كئيب مظلم لا يسر القلب أو العين لا يعرف المرح والسعادة إليه طريقا .

لقد تصور هوميروس أيضا أن العالم الآخر يقع فى مكان قصى فى أعماق الأرض وأن هناك العديد من الصعاب والعقبات التى تجعل من المستحيل على غير الموتى أن يصلوا إليه ، بل إن الموتى أنفسهم يصلون إليه بشق الأنفس(٧) .

والموتى ، كما يصورهم هوميروس ، يحيون فى العالم الآخر حياة الأطياف ، إنهم يشبهون فى شكلهم العام ما كانوا عليه قبل الموت – بل إنهم يلبسون نفس الملابس التى اعتادوا لبسها أثناء حياتهم ، لكنهم مجرد « أطياف » فاقدة لكل القوة التى كانت تسرى فى عروقها قبل الموت، وهو شكل من أشكال الوجود يناقض تماما ما كان عليه المحاربون الآخيون الذين يصورهم هوميروس فى ملاحمه(٨) .

لذلك كان من الطبيعى أن يتمنى أخيليوس لو ظل يعيش فوق الأرض وأن عمل أجيرا فى خدمة رجل آخر مهما كان حقيرا ضئيل الرزق ، على أن يكون سيدا على جميع الموتى فى العالم الآخر(٩) .

وينقسم العالم الآخر عند هوميروس إلى قسمين : القسم الأول يعاقب فيه أولئك الذين ارتكبوا جرائم فى حق الآلهة ، مثل سيزيفوس وتانتالوس وتيتيوس(١٠) ، وهم يعانون أشد أنواع العذاب وهم فى كامل وعيهم حتى يشعروا بما ينزل عليهم من عقاب(١١) .

ولم يكن العالم الآخر كما يصوره هوميروس مكانا للعقاب فقط ، بل هناك إشارة إلى مكان جميل يتواجد فيه الأخيار يسمى « السهل الألوسى » حيث تسير الحياة فى سهولة ويسر(١٢) . كما تشير إلى مكان بهيج آخر تسكنه أرواح الأبطال ويسمى « جزر المباركين » حيث تنبت أجمل الزهور(١٣) .

وتتميز الصورة العامة التى رسمها هوميروس للعالم الآخر بالضبابية وعدم الوضوح فلا يمكن أن تلمح فيما كتبه الكيفية التى يحيا بها الموتى فى عالمهم : كيف يقضون أوقاتهم ، ماذا يفعلون فى حياتهم اليومية فى ذلك العالم .؟

ولقد ظلت هذه الصورة الهومرية الضبابية للعالم الآخر سائدة ردحا من الزمن ، لكنها بدأت تتغير وتتضح معالمها بالتدريج[١٤] .

ثم ساعدت العبادات السرية المعروفة بالأسرار فى زيادة وضوح معالم صورة العالم الآخر فى ذهن الإغريق ، لأن الهدف من هذه العبادات كان ضمان حياة سعيدة فيما بعد الموت[١٥] .

وأشهر هذه العبادات « الأليوسية» و«الأورفية » وعلى الرغم من اشتراكهما فى الاهتمام بمصير الإنسان فى العالم الآخر فإن بينهما اختلافا جذريا . فالأليوسية مجموعة من التعاليم والطقوس تعد من يقوم بها بحياة سعيدة بعد الموت[١٦] ، فى حين أن الأورفية نمط للحياة بحيث يستطيع أن يسير على هداه من يطمع فى التخلص من عنصر الشر فى تكوينه لتسمو روحه وينال المصير الأفضل بعد الموت[١٧] .

فالأسرار الآليوسية – طبقا لما نعرفه عنها حتى الآن – لا تلزم أتباعها ومريديها بسلوك معين فى حياتهم اليومية ، إنما هى مجموعة من الشعائر والطقوس إذا قام بها الإنسان فى حياته ينال السعادة فى العالم الآخر أيا كان سلوكه فى حياته . لذلك كان من الطبيعى أن تثار حولها التساؤلات، ويقول أحد الفلاسفة ساخرا « هل ينعم لص فاجر بحياة أسعد فى هاديس لمجرد نه حفظ هذه التعاويذ وقام بأداء هذه الطقوس فى حين يحرم من ذلك المصير رجل صالح لمجرد أنه لم يقم بها ؟ »[١٨]. كما يسخر أرستوفانيس من فكرة أن ينال الإنسان مصيرا أفضل فى العالم الآخر لمجرد أنه تلقى هذه الأسرار ، فيجعل ترجايوس فى مسرحيته « السلام » يقترض ثلاث دراخمات ليشترى بها خنزيرا يضحى به ليتلقى هو الأسرار قبل موته حتى يضمن أن يعيش سعيدا فيما بعد الموت[١٩] .

ويكمن جوهر العقيدة الأورفية فى أن الإنسان خلق من عنصرى الخير والشر[٢٠] . ومن ثم يجب عليه أن يتبع نظاما يوميا حافلا بالنواهى الأخلاقية كى يقضى على عنصر الشر فى نفسه ومن ثم ينال الخلود الإلهى بعد موته[٢١] .

ويرى السيد W. K. C. Gutihrie أن العقيدة الأورفية بدأت تتلمس طريقها فى الوجود مع بدايات القرن السادس ق .م[٢٢] وأنها صارت فى القرنين الخامس والرابع ق .م أقوى المذاهب الدينية وأكثرها تأثيرا. وتجمع آراء القدماء والمحدثين على أن كثيرا من تعاليم الأورفية ، إن لم تكن كلها ، مأخوذة عن الديانة المصرية القديمة[٢٣] .

ولقد جعلت العقيدة الأورفية جل اهتمامها منصبا على الحياة بعد الموت ، وكان شغلها الشاغل كيف تصل الروح بسلام إلى العالم الآخر دون أن تتخبط فى الدروب المتشابكة ، ودون أن تحيد عن طريقها وسط الممرات المتشابهة . وكان على معلمى الأورفية أن يلقنوا الروح ما ستفعله لتهبط بسلام ، وما سوف تقوله لحراس العالم الآخر . حتى يسمحوا لها بالمرور والاستقرار فى أرض الأبدية والخلود – ولقد تبلورت هذه التعليمات فيما يسمى « بالألواح الذهبية » أو الألواح الأورفية[٢٤] ، التى كانت توضع مع الميت فى قبره أو تعلق فى عنقه على هيئة تمائم لتكون مرشدة فى عملية النزول للعالم الآخر وهى تتفق فى ذلك الهدف مع كتاب الموتى[٢٥] ، الذى حرص المصريون القدماء على وضع بعض نصوصه مع موتاهم فى القبور .

ولقد ساعدت العقيدة الأورفية فى زيادة توضيح معالم صورة العالم الآخر فى ذهن الإغريق . وبدلا من تلك الصورة الهلامية التى يلفها الضباب التى رسمها هوميروس ، وصفت الألواح الأورفية العالم الآخر وصورته على أنه يشبه الأرض التى نحيا عليها لكنه أكثر جمالا وروعة ، ملئ بعيون الماء والأشجار . كما تصور الموتى على أنهم فى حالة أشبه بحالتهم وهم أحياء ، فلم يعودوا أطيافا هزيلة تهمهم بكلمات غير مفهومة لكنهم يتكلمون ويتحاورون مع حراس العالم الآخر .

ويوضح اللوح المسمى The Petelia Tablet ملامح هذه الصورة الجديدة فقد نقشت عليه سطور تقول[٢٦] :

« سوف تجد إلى يسار بيت هاديس عينا من الماء
وبالقرب منها ستجد شجرة سرو منتصبة
فلا تقرب البتة من هذه العين
ولكنك ستجد أخرى على مسافة من بحيرة الذكرى .
التى ينبعث منها الماء البارد والتى يقف أمامها الحراس .
فقل . أنا ابن الأرض والسماء المرصعة بالنجوم .
ولكننى من أصل سماوى وأنتم أنفسكم تعرفون ذلك .
أننى أشعر بالعطش الشديد .. آه وأنى لهالك .. فأعطونى فى التو .
الماء البارد الذى يتدفق من بحيرة الذكرى » .

يوضح هذا النص إلى أى مدى تأثرت العقيدة الأورفية بالديانات الشرقية بصفة عامة وبديانة المصريين القدماء بصفة خاصة .

فتصور أن الكون قد نشأ من زواج السماء والأرض هو فى الأصل تصور شرقى عرفته الديانة السومرية[٢٧] والديانة المصرية القديمة[٢٨] .

أما بالنسبة لطلب روح الميت رشفة ماء من بحيرة الذكرى فإننا نلمس فيها تأثير الديانة المصرية واضحا ، فقد كانت أقصى أمانى المصرى أن تشرب روحه الماء من يد أوزيريس حتى تنال الخلود والأبدية . ويرد فى كتاب الموتى أن أوزيريس كانت له عين من الماء البارد يسقى منها الأرواح ، ولقد انتشرت على شواهد القبور — حتى تلك التى تنتمى للفترة الرومانية — كتابة جملة « ليت أوزيريس يعطيك الماء البارد »[٢٩] .

وبسبب انتشار الأليوسية والأورفية بدأت صورة العالم الآخر تتضح فى ذهن الإغريقى ، ومع بدايات القرن الخامس ق .م . أصبح قادرا على تصور أدق التفصيلات التى ستراها روحه فى العالم الآخر .

لذلك لم يكن من المستغرب أن يصف شاعر مثل بنداروس (٥١٨ — ٤٣٨ق .م) تلك الحياة التى سيحياها الأبرار فى النعيم بتفصيلاتها الدقيقة .

ففى إحدى الشذرات الباقية من « المراثى » يقول :

> « مبارك هو ذلك الذى تلقى هذه الأسرار قبل موته ، لأنه قد عرف نهاية الحياة وعرف أصولها الآلهية التى وضعها زيوس . لذلك فإنه سينعم بضوء الشمس الساطع حين يسود عالمنا الظلام . وتمتد المروج مليئة بالزهور القرمزية أمام مدينتهم حيث الظلال الوارفة التى تنشرها أشجار البخور ، وحيث تطرح الأشجار ثمارا من ذهب . ولسوف ينعمون بحياتهم فيركب بعضهم الخيل ويشاركون فى الاحتفالات الرياضية فى حين يلعب بعضهم النرد ، بينما يجد آخرون لذتهم فى العزف على الهارب ، وتشيع بينهم البهجة وتفوح الأرض بعبق جميل ، بينما هم يفدون من كل فج ويتزاحمون حول مذابح الآلهة »[٣٠] .

هذه بالقطع صورة جديدة للعالم الآخر مختلفة تماما عما جاء فى ملاحم هوميروس ، فبدلا من الظلمة والكآبة ، ملأ ضوء الشمس الساطع المكان الذى بدأت تكسوه الألوان المبهجة ولم يعد الموتى أشباحا باهتة شاردة الذهن ، هائمة على وجوهها ، بل اكتست العظام لحما ودما وصار الموات نشاطا وحيوية تدب فى الأوصال ، فمارس الموتى كل

الألعاب والنشاطات التى كان ينعم بها أبناء الطبقة الراقية من ركوب الخيل والألعاب البدنية .

بل إن أنغام الموسيقى بدأت تتسلل إلى عالم الموتى لتحيله إلى عالم يلفه المرح والبهجة بعد أن كان المرح لا يعرف إليه طريقا .

هذه الصورة الوردية التى رسمها بنداروس لنوع الحياة التى تنتظر الأخيار لا تعنى أنه لم يتصور الجانب الآخر لهاديس ، فهو يصف العذاب المقيم الذى لا تستطيع عين أن تراه والذى يناله ذوو الأرواح الشريرة . وإن كان رسمه لهذا الجانب يعكس أيضا وضوح معالم صورة العالم الآخر فى ذهن بعض الإغريق فى تلك الفترة[٣١] .

وقد تجسدت هذه الصورة الجديدة للعالم الآخر على جدران أحدى قاعات معبد دلفى والتى رسمها رسام شهير يدعى بوليجنوتوس وكان معاصرا لبنداروس[٣٢] يمثل رسم بوليجنوتوس زيارة أودسيوس للعالم الآخر التى وصفها هوميروس فى « الأوديسا » .

غير أن الصورة التى رسمها بوليجنوتوس جاءت مخالفة تماما لما صوره هوميروس ، لأنها انعكاس لما ساد المجتمع من أفكار جديدة حملتها العقيدة الأورفية والمذاهب الفلسفية المعاصرة .

فجاءت صورة بوليجنوتوس مليئة بالفتيات الجميلات المتوجات بالورود والأزهار ، اللاتى يلهين فى مرح وصخب بينما يقف أورفيوس وسط الأشجار الباسقات وقد أحاط به الموسيقيون من كل جانب وظهر الموتى فى الصورة وهم يمارسون كافة النشاطات التى كانوا يمارسونها من قبل ، ويستمتعون بكافة المباهج التى يتمتع بها الأحياء[٣٣] .

ولم يغفل بوليجنوتوس تصوير من يسامون العذاب فى العالم الآخر مثل تانتالوس وسيزيفوس وتيتوس الذين وصفهم هوميروس ، لكنه يضيف إليهم آخرين يعاقبون على أساس أخلاقى بحت : فالإبن الذى لم يرعْ أباه فى حياته يعاقب بالخنق ، وأولئك الذين لم يتلقوا تعاليم الأورفية يعاقبون بحمل الماء فى آنية مكسورة ، وهناك عائلة كاملة تصب الماء فى جرار مثقوبة ، وهذه العائلة تمثل من كانوا يستخفون بتلك الشعائر والطقوس أثناء حياتهم[٣٤] .

أما سقراط فقد أضفى مزيدا من الرومانسية على صورة العالم الآخر فى ذهن معاصريه لأنه اعتبره المكان الذى ينال فيه الحكماء ما كانوا يبغون من نقاء بعد أن يتخلصوا من صحبة الجسد[٣٥] .

وهذا التصور المثالى الذى جاء على لسان سقراط مبعثه نظرية أفلاطون القائلة بثنائية الإنسان ، فهو مكون من الجسد الفانى والروح الخالدة ، يحاول كل منهما - أثناء حياة الإنسان - أن يجذب الآخر إلى عالمه ، فالجسد يحاول أن يهبط بالروح إلى عالم اللذات الحسية ، بينما تحاول الروح أن تسمو بالجسد إلى عالم الروحانيات والمثل . وما الموت إلا انتصار للروح ، تهبط بعده إلى العالم الذى يمكنها أن تعيش فيه مع مثيلاتها فى نقاء خالص وخلود أبدى(٣٦) .

ولقد تأثر أفلاطون بالعقيدة الأورفية(٣٧) ، التى كانت متأثرة بدورها بالديانة المصرية القديمة ، لذلك جاء وصفه للعالم الآخر قريبا من التصور المصرى . فقد تصور أن الطريق إلى هاديس ملىء بالصعاب وبه العديد من الطرق المتشعبة والمتشابكة ، لذلك كان من الضرورى أن يصحب الموتى مرشد يدلهم على الطريق حتى لا تتوه الروح فى الطرقات(٣٨) وهو نفس التصور المصرى . كما جاء تصوره لعملية المحاكمة على درجة كبيرة من التحديد والوضوح ؛ فهناك ثلاثة قضاة يحاكمون الموتى : مينوس وردامانثوس وأياكوس(٣٩) ، لكل منهم اختصاصه : فردامانثوس يحاكم الأسيويين ، وأياكوس يحاكم الأوربيين ، بينما تحال إلى مينوس تلك الأحكام التى لا يصل فيها أحدهم إلى قرار محدد(٤٠) . وبعد إعلان الحكم وتحديد المصير يسير الموتى فى الطريق المؤدى إلى حيث يستقرون فى حياة ما بعد الموت ، فالأخيار يسلكون الطريق الأيمن الصاعد إلى السماء بينما يسلك الأشرار الطريق الأيسر المؤدى إلى تلك الحفرة التى لا نهاية لها ، تاتاروس(٤١) . وهو فى وصفه هذا يقترب كثيرا من التصور المصرى للعالم الآخر والطرق المؤدية إلى حقول الأبرار والجحيم(٤٢) .

ولقد أثرت تلك التيارات الفلسفية والعقائدية فى تصور الإغريق للعالم الآخر وأثرته . وهو ما انعكس بالقطع فى الإنتاج الأدبى بصفة عامة وفى المسرح بصفة خاصة . فالمسرح ، والمسرح الإغريقى بالتحديد ، ليس سوى مرآة تنعكس فيها صورة المجتمع بكل جلاء ووضوح .

وسنحاول فى هذا الفصل أن نحدد ملامح صورة العالم الآخر من خلال المسرحيات الإغريقية ، وإن كنا ندرك أن ما تقدمه هذه المسرحيات ليست الصورة الكاملة ، وذلك لكثرة ما فقد من التراث المسرحى ، الذى كان من الممكن أن يمدنا بالكثير من المعلومات عن تصور الإغريق للعالم الآخر لو أبقت عليه يد الزمان(٤٣) .

ولقد عكس كتاب المسرح الإغريقى بصورة عامة التصور الهرمرى للعالم الآخر ، لكنهم لم يكونوا بمنأى عن التيارات الدينية والفلسفية المعاصرة التى عدلت من بعض ملامح الصورة ، وجعلت كلاً منهم يختلف عن زميله فى الزاوية التى ينظر منها للموت والعالم الآخر . وتبدأ رحلة الإنسان إلى العالم الآخر بزيارة إله الموت له وتتيح لنا مسرحية يوربيديس « ألكستس » فرصة التعرف على هذا الإله عن كثب ، فقد ظهر كأحد شخصياتها .

وإله الموت هو ابن ربة الليل[٤٤] وشقيق إله النوم وهو مكروه من الجميع ، بشرًا وآلهة ، لقسوة قلبه ، فهو لا يرحم صغيرا أو ضعيفا بل يفرق بين الأم ووليدها ، بين الولد وأبيه ، وبين الزوج وزوجته .

وهو لا يستمع لتوسلات الملتاعين ، بل يأتى بمنظره المرعب وملابسه السوداء[٤٥] حاملا سيفه البتار[٤٦] ليحيل الحياة إلى موات فاستحق بذلك كراهية الجميع .

وهو ذو وجه عبوس ، إذ تلمع عيناه ببريق أسود مخيف من تحت حاجبيه المعقودين وجبينه المقطب[٤٧] .

ولقد تخيله الأغريق بجناحين[٤٨] وذلك على ما يبدو لكى تسهل حركته ، ويستطيع أداء مهمته فى كل مكان .

وحين يأتى الموت لإنسان تنتهى صلته بعالم الأحياء ، وتبدأ رحلته إلى العالم الآخر قاطعا ذلك الطريق البغيض الملئ بالعقبات[٤٩] .

وأول العقبات نهر ستيكس (معناه الكريه) الذى يعبره الموتى بمساعدة خارون العبوس الذى يصيح فى تجهم فى وجه كل من يتلكأ فى ركوب قاربه العتيق[٥٠] . وهو دائم الغضب وفى عجلة من أمره[٥١] طول الوقت .

وإذا كان الطريق إلى العالم الآخر مليئا بالصعاب ، فإن الخروج منه هو المستحيل بعينه . فهناك ذلك المخلوق البشع كربيروس الذى يحرس بوابة مملكة الموتى ويمنع من يحاول الهرب منها ، كما أنه يفتك بكل من يحاول دخول عالم الموتى وهو على قيد الحياة[٥٢] .

ولقد صورت الأساطير كربيروس فى صورة كلب ضخم له مائة رأس ، لكنه أصبح يصور فيما بعد على أن له ثلاثة رؤوس مخيفة وثلاثة أجساد[٥٣] فى حين تخرج الثعابين من رقبته وظهره[٥٤] .

ونظرا لصعوبة الرحلة ووعورة الطريق إلى العالم الآخر ، فإننا كثيرا ما نسمع الصلوات والابتهالات التى يرفعها الأهل والأقارب لهاديس وبرسيفونى ولكل القوى الأرضية كى تجعل رحلة الروح للعالم الآخر سهلة وآمنة[٥٥] .

وبعد الرحلة الشاقة تصل الروح إلى مملكة الموتى ، إلى هاديس الذى لا تدخله الشمس . ومن اللافت للنظر أنه بالرغم من أن العقيدة الأورفية قدمت صورة مشرقة للعالم الآخر وهو ما انعكس فى أشعار بنداروس وفى كتابات أفلاطون ، إلا أن المسرحيات الإغريقية ما تزال تصف العالم الآخر بأنه عالم مظلم[٥٦] .

وعلى ما يبدو فإن صفة الإظلام بالنسبة للعالم الآخر هى صفة اتفقت عليها أغلب الشعوب فقد قسم المصريون القدماء العالم إلى ثلاثة أقسام : السماء والأرض وقسم ثالث يخيم عليه الظلام حيث يعيش الموتى . كما تصور السومريون العالم الآخر أيضا كعالم يلفه الظلام والبرودة ، فهو عالم لا يرى الشمس على الإطلاق[٥٧] .

لذلك فإن كل شخصيات المسرحيات الإغريقية المقدمة على الموت لا يفوتها أن تقف لحظات تودع أشعة الشمس وضوء النهار ، لأنها لن تراها ثانية فى تلك المنازل التى لا تدخلها الشمس . فها هو أياس يقف قبل أن ينتحر ليودع الشمس قائلا[٥٨] :

« أننى أخاطبك أى ضوء النهار اللامع المشرق فى هذه اللحظة
ويا رب الشمس يا من تقود مركبتك
أخاطبك كآخر شىء وكنهاية ليس بعدها من شىء آخر أبدا » .

حتى أوديب ، الكهل الكفيف الذى لا يرى للشمس شعاعا ، لا ينسى أن يودع الشمس المشرقة قائلا : « يا ضوء الشمس هذه هى المرة الأخيرة التى يشعر فيها جسدى بحرارتك ، لأننى الآن فى طريقى لذلك العالم السفلى المظلم[٥٩] .

بل أن كل من يتحدث عن الموت فى المسرحيات يقرنه بالظلمة فى حين يقرن الحياة بالنور[٦٠] .

غير أن ذلك لم يمنع الإغريق من تصور إمكانية قضاء حياة سعيدة فى ذلك العالم[٦١] ، ففى مسرحية « الكستس » على سبيل المثال – يودع الكورس الكستس الزوجة الوفية متمنيا لها قضاء حياة سعيدة فى هاديس الذى لا تدخله الشمس[٦٢] .

ورغم أن الموروث الأسطورى يصور العالم الآخر كعالم متسع الأرجاء مترامى الأطراف فإن هذا الاتساع لم يمنع ورود فكرة أن يلتقى الإنسان فى هاديس بكل من كان يعرفهم أثناء حياته . ففى مسرحية « هيكابى » وقبل لحظات من تقديم بولوكسينى قربانا على قبر أخيليوس ، فإنها تسأل أمها عما تود أن تخبر به برياموس وهكتور حين تلتقى بهما فى العالم الآخر[٦٣] .

وعندما يكتشف أوديب الحقيقة ، فإنه يفقأ عينيه ، وعندما يعنفه الكورس على فعلته تلك يكون رده[٦٤] :

« إننى لا أعرف بأية عيون سوف أقوى على النظر
إلى أبى عندما أذهب إلى هاديس وأتطلع إليه
أو إلى أمى المسكينة ، هذان الإثنان اللذان
ارتكبت فى حقهما من الأعمال ما استحق عليه أكثر من الشنق » .

وكلمات أوديب هذه تعكس تصور بعض الإغريق أن من يموت كفيفا سوف يعيش كذلك محروما من نعمة البصر فى العالم الآخر .

والعالم الآخر مملكة يعيش فيها الموتى ويقوم بإدارة مقاليد الحكم فيها مجموعة كبيرة من الآلهة ، على رأسهم زيوس . فالمسرحيات الإغريقية تؤكد أن كبير الآلهة زيوس إله السماوات ببرقها ورعدها ، يشرف كذلك على العالم الآخر ، فهو يحاكم الموتى ويحدد لهم مصائرهم .

يقول داناؤوس فى مسرحية « المستجيرات لأيسخولوس »[٦٥] :

« ووفقا لما يقال فإن هناك (فى الدار الآخرة » زيوس
آخر بين الموتى يقاضيهم على آثامهم ويعقد آخر محاكماتهم » .

فقد عبد الإغريق زيوس باعتباره إلهًا فى العالم الآخر تحت اسم آخر Zeus Meilichios[٦٦] .

ويروى بوسنياس Pausanias أنه رأى فى كورنثا ثلاث صور جميعها تمثل زيوس : الأولى خالية من أى كتابة ، والثانية تحمل لقب الأعظم ، فى حين وصف زيوس الصورة الثالثة بأنه خاص بالعالم الآخر[٦٧] .

أما الإله هاديس الذى يجلس على عرش العالم الآخر وبجانبه زوجته برسيفونى ، فهو شقيق كبير الآلهة زيوس وبوسيدون إله البحر .

ولقد تم اكتشاف إناء فخارى نادر مرسوم عليه الأخوة الثلاثة باعتبارهم حكاما لهذا الكون ومع كل منهم رمزه : فرسم زيوس ومعه البرق ، بينما يحمل بوسيدون شوكته الثلاثية فى حين رسم هاديس متجها بوجهه إلى الخلف[٦٨] ، وكأن الفنان يريد أن يقول إن هاديس هو الإله الذى لا يجب النظر إليه وجهه ، إنه إله الموت الذى يبعث ذكره الرعب فى القلوب . ومن اللافت للنظر أن الإغريق كانوا يقدمون القرابين للإله هاديس بينما يشيحون بوجوههم إلى الخلف[٦٩] .

وصورة الإله هاديس يحوطها الغموض ، والرهبة بسبب ذلك الخوف الغريزى الذى يشعر به الأحياء تجاه الموت بالإضافة إلى كونه إله ذلك العالم البعيد الرابض فى أعماق المجهول . لذلك كان الإله هاديس أكثر آلهة الإغريق إثارة للكراهية[٧٠] .

لكن ذلك لا يعنى أنهم لم يبتهلوا إليه ويرفعوا إليه صلواتهم ويقدموا له القرابين وكان من عادتهم أن يبتهلوا إليه وهم يضربون الأرض بأيديهم[٧١] . وكأنهم يريدون لفت انتباهه ليسمع صلواتهم وابتهالاتهم ويتقبل قرابينهم . ولقد حاول كثيرون التعرف على ذلك الإله الغامض المسيطر على ذلك العالم الرابض فى أعماق المجهول . فيرى هوميروس أن أهم صفاته والتى اكتسب منها اسمه – أنه لا يظهر للعيان ، فهو الإله الذى لا يرى[٧٢] فى حين يرى أفلاطون أن اسمه يعنى الإله الذى يعرف كثيرا[٧٣] ، فى حين أن بعض الآراء توحد بين هاديس وزيوس ، وتجعل من الإله هاديس نظيرا لزيوس ، فكما يجلس زيوس على قمة جبل الأوليمبوس ليحكم الآلهة والبشر فإن هاديس يجلس على عرشه فى العالم الآخر ليحكم الآلهة والموتى[٧٤] .

فى حين أن بعض المسرحيات الإغريقية ، وكذا بعض الدراسات الحديثة تربط بين الإله هاديس وبلوتوس إله الثروة والذهب[٧٥] ولقد فسر هذا الربط بتفسيرات مختلفة منها أن الإغريق كانوا لا يجرؤون على ذكر أسماء الآلهة الخاصة بالموت والعالم الآخر ، لذلك كانوا يستخدمون أسماء أخرى ذات دلالة طيبة بدلا منها[٧٦] .

كذلك فسره البعض بأن الإله هاديس إله غنى فعلا لأن كل المعادن والثروات النفيسة تقع فى نطاق مملكته ، فى جوف الأرض[٧٧] أو لأنه يشرف على أكثر الممالك عددا ، تلك المملكة التى يتوافد عليها الوافدون فى كل لحظة من لحظات الليل والنهار[٧٨] .

والإله هاديس عند أيسخولوس إله عظيم عادل ، يحاسب رعيته من الموتى بما قاموا به من أعمال فى دنياهم ، فهو لا يعاقبهم ولا يكافئهم كيفما اتفق ، كما أنه لا يتركهم دون حساب أو جزاء .

أنه يراقب كل أعمالهم ويسجلها حتى ينال كل إنسان بعد موته جزاء ما قدمت يداه فى حياته . لذلك يقول عنه الكورس فى مسرحية ايسخولوس « إلهات الرحمة »[٧٩] .

« ذلك لأن هاديس العظيم هو محاسب الفانين
فى العالم الواقع تحت الأرض ، فهو يراقب كل شىء
بعقله كلوح تسجل عليه الكتابة » .

وهاديس هو الإله الذى يرسل الإيرينيات للانتقام ممن يرتكب جرما أو يقترف إثما . ففى نفس المسرحية يؤكد أيسخولوس أن ربات الانتقام ، اللاتى يرسلهن هاديس ، سوف يمسكن بتلابيب أورستيس وسوف يحضرنه إلى العالم الآخر حيث يلقى عقابه على قتل أمه ، وهناك سوف يرى آخرين ينالون عقابهم لأنهم أخطأوا فى حق الإله ، أو لم يراعوا حرمة الضيف ، أو امتدت أيديهم بالأذى لوالديهم فيلقى كل منهم جزاء جريمته[٨٠] .

والواقع أن هذا التصور الايسخولى لأسس محاكمة الموتى وتحديد مصير كل منهم فى الحياة الأخرى يدفعنا إلى إعادة النظر فى ربط أيسخولوس « بالأسرار الأليوسية ، أو أن نعيد النظر فى حقيقة تلك الأسرار التى درج التراث على اعتبارها مجموعة من الشعائر والطقوس التى تضمن لمن يقوم بها المصير الأفضل فى العالم الآخر بغض النظر عن سلوكه الدنيوى. أن تصور ايسخولوس أن السلوك الدنيوى يحدد المصير فى العالم الآخر يجعلنا لا ننظر بارتياح للتصور الشائع للأسرار الأليوسية أو لانضمام ايسخولوس لها[٨١] .

أما برسيفونى شريكة هاديس فى عرشه فهى إبنة ديمتير وزيوس أو بوسيدون . ورغم كثرة الإشارات التى ترد عنها فى المسرحيات فإنها تظل شخصية غير واضحة المعالم .

ورغم أن يوربيديس يفرد جزءا كبيرا فى مسرحية « هيلين » ليروى قصة اختطاف هاديس لها وبحث أمها ديمتير عنها فى مختلف الأنحاء[٨٢] ، فإن ذلك لا يضيف جديدا بالنسبة لوضعها فى العالم الآخر وطبيعة دورها كملكة له ، وعلاقتها بأعضاء مملكتها من الموتى . ولا تزيد الإشارات التى ترد حولها فى المسرحيات عن وصفها بأنها زوجة هاديس وابنة ديميتر[٨٣] ، أو أنها سيدة العالم السفلى[٨٤] ، دون أن تضيف مزيدا من التفاصيل عن دورها كملكة للعالم الآخر.

والموقف جد مختلف بالنسبة لإله آخر من آلهة العالم الآخر ، هو هرميس الذى تسهب المسرحيات الإغريقية فى الإشارة إليه وتوضيح طبيعة دوره وتشير إليه المسرحيات دائما باسم « هرميس العالم السفلى » ، وهو لقب أطلق عليه باعتباره سيد الموتى ، ولقد انتشرت عبادته بهذه الصفة فى أماكن عدة ، فكانت تقدم له القرابين فى عيد الأنثيستيريا فى أثينا ، كما كان يقام احتفال فى بلاتيا لتمجيد من ماتوا أثناء المعارك وفيه تقدم القرابين لهرميس العالم الآخر[٨٥] . ولقد شاع استخدام اسمه هذا فى أعمال السحر التى يراد بها إيذاء الغير . ويبدو أن عبادته كانت شائعة ومنتشرة بدرجة كبيرة ، حتى أن قانونا قد صدر يحرم إقامة تماثيل له فوق القبور[٨٦] .

والمهمة الأولى التى يقوم بها هرميس هى إبلاغ البشر أحكام الآلهة ، كما أنه يوصل للآلهة وللموتى رسائل الأحياء إليهم[٨٧] .

لذلك فإن اليكترا تتضرع إليه قائلة[٨٨] :

« أيها الرسول الأعظم للعالمين العلوى والسفلى
أيا هرميس الأرضى استدع من أجلى قوى العالم السفلى
كى تستمع إلى » .

وهو أيضا الذى يقود أرواح الموتى ، إذا ما دعت الضرورة إلى صعودها إلى عالم الأحياء[٨٩] لذلك فإن الكورس يبتهل إليه فى مسرحية « الفرس » كى يبعث بروح الملك الراحل داريوس إلى النور . يقول الكورس مبتهلا[٩٠] :

« أيتها القوى الأرضية المقدسة
أيتها الأرض ، أيا هرميس يا ملك الموتى
فلترسلوا الروح من جوف الأرض إلى النور » .

أما أشهر صفات هرميس فهو أنه « مرشد الموتى » فهو الذى يقودهم فى دروب العالم الآخر المتشابهة ومسالكه المتشعبة[٩١] ويتخذ أفلاطون من وجود مرشد للموتى دليلا على أن الطريق للعالم الآخر صعب ومتشعب وبالتالى فهو يحتاج لمرشد يدلهم على الطريق ، وهو بذلك يرد على ما جاء فى إحدى مسرحيات ايسخولوس والمسماة « تليفوس » بأن الطريق للعالم الآخر واضح ومحدد[٩٢] .

ولم تكن مهام هرميس قاصرة على الموتى فحسب بل شملت الأحياء أيضا فقد كان إلها للتجار والرحالة بل واللصوص كذلك[٩٣] . فكأنه كان يحرس الجميع فى رحلاتهم ،

سواء فى رحلتهم الأخيرة إلى مملكة الموتى أو فى رحلاتهم العادية فوق سطح الأرض . لذلك فإن الإله أبوللون يستحلفه أن يرعى أورستيس فى تجواله ، فهو الإله الحارس[٩٤] .

ومن اللافت للنظر أن أول ما ينطق به أورستيس فى مسرحية « حاملات القرابين » هو اسم هرميس « العالم السفلى » ، إذ يتضرع إليه كى يكون منقذه وحليفه ، يقول أورستيس[٩٥] :

« أيا هرميس الأرضى ، يا من تتولى سلطة خولها لك أبو (الآلهة)
كن منقذى ، وقف حليفا لى فى قضيتى » .

وكذلك فى مسرحية « أليكترا » لسوفوكليس ، بينما يقوم أورستيس بقتل أمه وعشيقها ، فإن الكورس لا يتوجه لأى من آلهة الأوليمبوس العديدة طلبا للمساعدة إنما يتضرع إلى هرميس كى يمد لهم يد المساعدة وينتهى أورستيس من مهمته بنجاح[٩٦] .

وقد يقول قائل إن توجه أورستيس والكورس بالابتهال لهرميس توجه تلقائى جاء دون تفكير باعتبار أن هرميس أحد الآلهة التى يمكنها مساعدة الإنسان فى محنته ، ولكننا نعتقد أن التوجه لهرميس والتضرع إليه كى يساعد أورستيس فى خطته هو توجه مقصود . فالكورس يخاطب الجانب الخاص بالعالم الآخر فى هرميس ويطلب منه أن يساعد الابن فى الانتقام لأبيه الذى قتل غدرا وتعيش روحه معذبة فى عالم الموت فى انتظار الثأر من قاتلها .

فمساعدة هرميس سوف تسهم فى إقامة العدالة وفى استقرار روح أجاممنون فى العالم الآخر ، لذا يربط الكورس بين هرميس والأيرينيات باعتبارهن مراقبات لسلوك البشر ومنتقمات ممن يخرق ناموس الكون[٩٧] .

إن هذه الإشارات العديدة واللغة الرصينة التى يشار بها دائما لهرميس تدل على أن الإغريق قد أسبغوا قدرا كبيرا من القدسية والاحترام على شخصية الآله هرميس وعلى مهامه الآلهية .

وقد يتخذ البعض من المعاملة السيئة التى يلقاها هرميس على يد بروميثيوس دليلا على عدم التقدير والاحترام[٩٨] . ولكننا نعتقد أن هذه المعاملة يقصد بها إبراز غضب بروميثيوس من زيوس ، وثورته على هرميس ليست سوى ثورة غضب على رسول زيوس الذى يحاول أن يعرف السر الذى يخفيه بروميثيوس والذى يتعلق بمستقبل كبير الآلهة .

أما ربات الانتقام اللائى يسكن هاديس المظلم والمسميات بالأيرينيات فقد كن يُسببن الذعر والهلع لكل من يسمع اسمهن[٩٩] . ولقد اختلفت الآراء بشأن نسب الايرينيات ، فأتباع المذهب الأورفى يعتقدون أنهن بنات زيوس أو هاديس وبرسيفونى[١٠٠] لكن هناك اتجاهًا آخر يحيط مولدهن بالغموض ويتصور أن وجودهن قديم قدم الزمن نفسه ، فهن أسبق من زيوس ومن آلهة الأوليمبوس أجمعين[١٠١] . والأيرينيات – كما تقدمهم المصادر الأدبية ثلاث من حيث العدد ، لكنهن يعملن كفريق متجانس[١٠٢] .

ولقد كان أيسخولوس أول من وصفهن من حيث الشكل والمظهر ، فلم يزد هوميروس فى وصفهن أكثر من عبارة « الرعب الغير مرئى » لكنه لا يشير لمظهرهن وشكلهن الخارجى . لذلك تقول السيدة J. Harrison أنه فى إمكاننا الجزم بأنه لو سئل أحد عن شكل الإيرينيات قبل عرض مسرحية أيسخولوس لما عرف الجواب[١٠٣] .

وبعد أن يقتل أورستيس أمه ، فإنه يستعد للهرب لأن الإيرينيات قادمات للانتقام منه ويصفهن بقوله[١٠٤] :

« إنهن فى هيئة الجورجونات وفى ثياب
قاتمة ولهن جدائل شعر من الأفاعى المتزاحمة » .

كما تصفهن كاهنة أبوللون فى مسرحية « آلهات الرحمة » بأنهن جورجانات[١٠٥] ، وأنهن متسربلات بالسواد وذوات منظر كريه ومثير للاشمئزاز للغاية[١٠٦] وتستطرد الكاهنة فى وصفهن فتقول أنهن يغططن فى نومهن بأنفاس مثل الريح التى تدفع المرء إلى الخلف ، ومن عيونهن يتساقط رشح عفن ، يلبسن أردية حقيرة لا يصح ارتدائها فى حضرة أحد الآلهة أو حتى فى منزل للبشر[١٠٧] .

وفى نفس المسرحية يتحدث الإله أبوللون عن الايرينيات باستفاضة فيقول عنهن[١٠٨] :

« إن العذراوات البغيضات قد خلدن للنوم
بنات الليل المسنات ، اللاتى لا يجب أن يكون بقربهن
أحد من الآلهة ، أو إنسان أو حتى حيوان شرس » .

ثم يستطرد قائلا أنهن قد خلقن بمساعدة الشر ، وبسبب هذا الشر فإنهن يسكن تارتاروس المظلم الكئيب ، مكروهات من بنى البشر ومن آلهة الأوليمبوس[١٠٩] .

ولم تكن الأيرينيات أنفسهن بغافلات عن ماهيتهن وعن كراهية الجميع لهن ، بل أنهن يقلن عن أنفسهن(١١٠) .

« نحن بنات الليل الكريهات
إنهم يلقبوننا بالمنتقمات فى وطننا تحت الأرض » .

ونظرا لارتباط الإيرينيات بالليل ، فقد كانت تقام لهن الصلوات وتقدم لهن القرابين أثناء الليل(١١١) وهو ما تؤكده كليتمنسترا فى حديثها للأيرينيات النائمات ، فهى تحثهن بقولها أنها قدمت اليهن الكثير من القرابين فى ظلمة الليل ، فى ساعة ليست مكرسة لأى إله آخر(١١٢) . ومهمة الإيرينيات كما يشير إليها ايسخولوس ، هى الانتقام للدم المهدر والأخذ بثأر القتيل من القاتل(١١٣) .

ورغم القسوة البالغة التى اتصفت بها الإيرينيات فى مسرحيات ايسخولوس فإنهن لا يلحقن الأذى بكل إنسان ، فقط من يلوث يديه بدم ذوى القربى(١١٤) . أما من لم يفعل، فيمضى فى حياته سعيدا سالما ولا يناله منهن أذى(١١٥) .

فالإيرينيات يمكثن فى سكون ما دامت الأمور تسير على ما يرام ، ولكن إذا ما ارتكب أحدهم جريمة لطخ فيها يديه بدم ذوى القربى ، فإن تلك الربات الرهيبات ينشطن تدفعهن الرغبة فى الانتقام فهن ينتقلن من السكون إلى الحركة ومن النوم إلى اليقظة إذا ما توفرت تلك الجريمة ، أما إذا لم يحدث فإنهن يغططن فى نومهن بلا حراك(١١٦) ، وهو ما دفع بعض العلماء إلى اعتبار الأيرنيات روح الانتقام التى تبعث بها الضحية للانتقام من قاتلها(١١٧) .

وفى حين يفيض أيسخولوس فى وصف مظهر الإيرينيات البشع وشكلهن المخيف ، فإن سوفوكليس لا يشير لذلك بكلمة واحدة . لكنه يصفهن بالعذروات أبدا بل أنه يقول عنهن أنهن يمددن يد المساعدة لكل محتاج ويغثن الملهوف(١١٨) وهو ما ينبئ عن زوال تلك النظرة الكريهة لهن . وبينما يقصر أيسخولوس مهتمين على الانتقام ممن أهدر دم ذوى القربى ، يوسع سوفوكليس دائرة اختصاصهن ويجعلهن ينتقمن لكل إنسان يقع عليه ظلم .

لذلك فإن أياس يلجأ إليهن فى محنته طالبا أن يغثنه وينتقمن من أبناء أتريوس لما أوقعوه عليه من ظلم(١١٩) . بل إن مهمة الإيرينيات تأخذ فى الاتساع لتشمل عقاب كل من يخرق ناموس الكون . ففى مسرحية « أنتيجونى » يحذر تايرسياس كريون

من انتقام الإيرينيات منه ، لأنه أشاع الفوضى فى عالمى الأحياء والموتى وخرق ناموس الكون حين أرسل أنتجونى إلى القبر وهى على قيد الحياة ، فى حين حرم جثة بولونيكيس من حقها الطبيعى فى أن تدفن ، لذلك يتنبأ ترسياس أن كريون سوف يدفع الثمن قريبا ، وسوف يسمع العويل والنحيب يتردد بين جنبات منزله[١٢٠] لأن الإيرينيات اللائى يرسلهن الإله هاديس للانتقام ممن يرتكبون الخطايا سوف يجعلنه يدفع ثمن خطاياه[١٢١] .

وكما تتأرجح الإيرينيات عند أيسخولوس بين حالتى السكون والنشاط ، بين النوم واليقظة فإن إيرينيات سولوفوكليس يتأرجحن أيضا بين السكون والنشاط ، لكنه سكون مختلف عن سكون ايسخولوس . فسكونهن ، كما يصوره سوفوكليس ، ليس نوما أو نوعا من الغيبوبة إلى أن ترتكب جريمة تخرجهن من سكونهن ، بل هو سكون واعى يقظ . فهن يراقبن كل ما يفعله البشر ، ليكن فى جانب المظلوم ويغثنه ، وينتقمن من الظالم .

وتتجسد النظرة الجديدة لهن كإلهات للرحمة فى صلاة أليكترا[١٢٢] حيث تقول :

« أيا نزل هاديس وبرسيفونى
أيا هرميس العالم الآخر ، يا ربة الانتقام المقدسة
أيتها الإيرينيات المبجلات ، يا بنات الآلهة
يا من تراقبن من يلقون حتفهم ظلما
والذين تدنس مخادعهم
إحضرن ، وامددن يد المساعدة واطلبن الثأر
لمقتل أبينا » .

كما يتوجه أوديب كذلك بصلاته للإيرينيات ويتضرع اليهن أن يكن رحيمات به فى شيخوخته ، وأن تساعدنه فى المرور من الحياة إلى الموت كى ينال قدرا من الراحة بعد رحلة الحياة الشاقة التى كتبتها عليه الأقدار[١٢٣] .

أما فى مسرحية « أورستيس » ليوربيديس فإن الكورس يتضرع إلى الإيرينيات باعتبارهن إلهات الرحمة . كى يخلص أورستيس من نوبة الجنون التى أصابته بعد جريمة القتل[١٢٤] .

وهو ما يؤكد أن الإيرينيات تحولن فى ذهن الأغريق من ربات للانتقام إلى ربات رحيمات يتضرع إليهن الإنسان فى وقت المحن والشدائد كى يأخذن بيده وينقذنه من محنته .

كانت هذه نظرة سريعة على آلهة العالم الآخر الكائن فى أعماق الأرض وسط ظلمات المجهول . غير أن بعض المسرحيات تشير إلى أنه مع منتصف النصف الثانى من القرن الخامس ق .م بدأت نظرة جديدة فى التبلور ، نظرة تعتبر هاديس بمكانه التقليدى فى أعماق الأرض مكانا للعقاب فقط أما أرواح الصالحين فتصعد إلى السماء(١٢٥) .

فى مسرحية « بنات تراخيس » لسوفوكليس تشير إحدى الشخصيات إلى هاديس باعتباره مكانا يذهب إليه الأشرار حيث يلقون جزاء أعمالهم السيئة ، وتقول(١٢٦) :

« وهكذا فإن أولئك الذين تمادوا فى التكبر
والإهانات اللاذعة صاروا الآن جميعًا من
سكان هاديس » .

وفى مسرحية « أوديب فى كولونوس » يتنبأ أوديب أن ولديه بولوينيكيس وأيتوكليس سوف يقتل أحدهما الآخر ، لذلك فإنه يلعنهما معا ، ويقول لبولوينيكيس غاضبا(١٢٧) :

« إننى أدعو ظلمة تارتاروس الأزلية(١٢٨)
البغيض أن تضمك بين جنباتها »(١٢٩) .

أما بالنسبة لمن يستحق التكريم من الموتى ، فإن شعراء التراجيديا خاصة سوفوكليس يقفون حائرين بين أن يجعلوهم ينزلون إلى هاديس المظلم « أو يجعلونهم يصعدون إلى السموات العلا » . وأفضل مثال على ذلك هو تردد سوفوكليس فى تحديد الكيفية التى اختفى بها أوديب هو قول اليكترا(١٣٠) :

« ولكن إمّا أن رسولا من أحد الآلهة (قد هبط وأخذه)
أو أن الأعماق المظلمة قد فتحت أبوابها فى محبة وترحيب » .

ثم تضيف اليكترا قائلة(١٣١) :

« إن أشياء غير مرئية قد أمسكت به
حاملة إياه إلى مصير غير محدد » .

وعلى الرغم من أن كلمات أنتيجونى هذه لا توضح تماما إلى أين يذهب أوديب بعد موته ، فإنها ترجح أكثر احتمال أنه صعد إلى السماء حيث الآلهة المباركين .

وقد اعتقد البعض أن الموتى أو المميزون منهم على الأقل – يصعدون إلى السماء حيث يتحولون إلى نجوم متلألئة تشع نورا إلى الأبد – وهو ما يشير إليه أرستوفانيس فى مسرحيته السلام »[١٣٢] .

ورغم سخرية أرستوفانيس ، فإن مجرد سخريته من هذا الاعتقاد تدل على انتشاره . ولقد شاع مثل هذا الاعتقاد فى الديانة المصرية القديمة إذ آمن البعض أن الملوك والمميزين من الموتى يتحولون بعد موتهم إلى نجوم ساطعة حيث تظل فى بقاء دائم إلى جانب الآلهة[١٣٣] .

ويرى السيد W. K. C. Guthrie أننا – أبناء العصر الحديث نستخدم تعبير « انتقل إلى السماء » للدلالة على الموت ، وهو ما يعنى أننا نتصور أن الموتى يأخذون طريقهم إلى السماوات العلا ، وليس إلى عالم آخر يوجد فى باطن الأرض ، ذلك المكان التقليدى للعالم الآخر الإغريقى[١٣٤] . وسواء كان ذلك العالم فى باطن الأرض أو فى السماء ، فإن الإنسان لم ولن يكف مطلقا عن التفكير فى ذلك العالم الذى يخفيه الظلام المطبق بين سحاباته[١٣٥] ، ومحاولة تصوره ، كى تطمئن نفسه وتهدأ مخاوفه .

الهوامش :

(١) Comperz. T.: The Greek Thinkers. A. History of Ancient Philosophy, Vol.III, P. 80 .

(٢) Ibid.PP. 65-66; Brandon, S.G.F. The Judgment of the Dead, PP. 86-87.

شورون : الموت فى الفكر الغربى ص ٤١–٤٢ ، عبد الرحمن بدرى : خريف الفكر اليونانى ص ٦٨ : (الطبعة الثالثة) ، أدوين بيفان : الفلاسفة اليونان : ما وفقوا فيه وما عجزوا عنه ص ٧٦ .

(٣) يعالق العالم الكبير N. Nilsson على أسطورة تقسيم الكون بين الإخوة الثلاثة فيقول إنها تمت بنفس الطريقة التى كان يقسم بها الملوك فى الحضارة الموكينية البلدان المهزومة بين أتباعهم .

Nilsson, M.P.: The Mycenaean origin of Greek Mythology, P. 247.

(٤) Homer: IL. XV. 187-193; see also kerenyi, C. The Gods of the Greeks, PP. 203-204.

(٥) Homer. Ody. XI,19

(٦) Ibid. 93-94.

(٧) Ibid. 155-159.

(٨) Guthrie, W.K.C.: History of Greek philosophy. P. 196 .

(٩) Homer: Ody. XI, 489-491.

(١٠) Ibid. 516, 582, 583.

(١١) Guthrie, W.K.C.: Orpheus and Greek Religion, P. 148.

(١٢) Homer. Ody. XI, 538.

(١٣) Ibid. 539.

(١٤) Guthrie, W.K.C. Op. Cit. P. 1119.

(١٥) Guthrie, W.K.C. History of Greek Philosophy P. 197 .

(١٦) Comperz. T. Op. Cit. P. 83; Nilsson, M.P. la Religion Populaire dans la Grece Antique, P. 73; Brandon, S.G.F. The Judgment of the dead, P. 79.

(١٧) Guthrie W.K.C. Orpheus and Greek Religion P. 154; Murray, G.; History of Ancient Greek literature, PP. 64-65 .

(١٨) Guthrie . W .K .C. : Orpheus and Greek Religion , P . 159 .

(١٩) أرستوفانيس : « السلام » ٣٧٤-٣٧٥ .

(٢٠) تحكى الأساطير الأورفية أن التياتن هاجموا ديونيسوس زاجريوس ومزقوا جسده ثم التهموه ، فأنزل زيوس صاعقة عليهم ومن رمادهم خلق الإنسان الذى احتوى على عنصر الخير ممثلا فى ديونيسوس وعنصر الشر ممثلا فى التياتن .

Guthrie , W .K .C . : Orpheus and Greek Religion P . 155 ; Murray , G . : History of Ancient Greek literature P . 65 ; Nilsson . M .P . : Greek piety pp . 22-23 .

(٢١) Harrison, J. Prolegomena, P . 477 ; Guthrie , W .K .C. : History of Greek Philosophy , PP . 197-198 .

(٢٢) Guthrie W .K .C . : Orpheus and Greek Religion , P . 46 The Orphic religion does not seem to have existed before the sixth century .

فى حين يتبنى السيد Norwood رأى I .M . Linforth والقائل بأنه لم يكن هناك وجود لديانة أورفية قبل القرن الثالث ق .م .

أما السيد G. Murray فيرى أنه بالرغم من أن الأدب الأورفى الذى وصلنا يرجع إلى القرن السادس ق.م. فإن إرهاصات العقيدة الأورفية ترجع إلى قبل ذلك بكثير.

Murray / G.: History of Ancient Greek literature P . 67 . G , Norwood : Pindar , P . 256 .

(٢٣) Herodotus II , 81 , Harris on J . : Prolegomena P . 454 , Cooke , H .P . Osiris , a study in myths . PP . 119-120 .

(٢٤) الألواح الذهبية أو الأورفية : عبارة عن ثمانية ألواح من الذهب ، وهى رقيقة للغاية ومنقوش عليها التعليمات التى يجب على الميت اتباعها . ولقد وجدت ستة ألواح من الثمانية فى جنوب إيطاليا وعثر على لوح بالقرب من روما ، بينما عثر على لوح آخر فى كريت وتوجد هذه الألواح حاليا فى المتحف البريطانى

Reinach , S . Cults , Myths and Religions PP . 122-123 , Harrison , J . : Prolegomena P . 572 .

(٢٥) كتاب الموتى : هو مجموعة لفائف من أوراق البردى تحوى نصوصا وتعاويذ وأدعية وصلوات ، الغرض منها طرد الأرواح الشريرة من المقبرة ، وتسهيل الطريق للميت فى رحلته للعالم الآخر . وقد سمى بهذا الاسم للعثور على نصوصه فى مقابر الموتى منذ عهد الدولة الحديثة

The Book of the Dead , trans by E .A .W . Budge ; P . LXXXIV , Budge E .A .W . : The Gods of the Egptians , Vol . II , P . 120 .

فلندرزبترى : الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة ص ١٤٢ .

(٢٦) Harrison, J.: Prolegomena P. 573.

(٢٧) Kramer, S.N.: The Sumerians, Their History. Culture and character PP. 112-113; Sandars, N. K.: The Babylonian Creation PP. 22-25.

(٢٨) أوزيريس فى الديانة المصرية هو ابن الأرض (جب) والسماء (توت) انظر مقالة ردولف انتس : الأســاطير فى مصر القديمة «ضمن كتاب أساطير العالم القديم» نشر وتقديم د. صمويل نوح كريمر ترجمة د. أحمد عبد الحميد ص٣٣ .

(٢٩) Cooke, H.P.: Op. Cit. P. 15, Harrison, J. Prolegomena P. 459.

(٣٠) Frag. 114, 129-130; Norwood. G. Pindar P. 61; Dickinson, G.L.: The Greek life P. 140.

(٣١) Norwood, G.: Op. Cit. P. 62; Adkins. A.W.H. Merit and Responsibility A study in Greek values. PP. 140-141; Dickinson. G.L.: Op. Cit. P. 41.

(٣٢) Rose, H J. Ancient Greek Religion P. 125.

(٣٣) Adkins, A.W.H. Op. Cit. 146; Grant, M.: Myhts of the Greeks and Romans P. 275.

(٣٤) Adkins, A.W.H.: Op. Cit.. PP. 146-147.

(٣٥) Plato: Phaedo, 65; Taylor, Introductory Readings in Metaphysics, P. 20.

(٣٦) Plato: Phaedo 67-68.

(٣٧) أدوين بيفان : الفلاسفة الإغريق ص ٧ .

(٣٨) Plato: Phaedo 108.

(٣٩) Idem: Apology 40-41.

لكن أفلاطون فى بعض الأحيان يضيف قاضيا رابعا هو Triptolemus وفى أحيان أخرى يجعل كل أبناء زيوس ، الذين عاشوا حياتهم على الفضيلة والتقوى ، قضاة للموتى فى هاديس .

(٤٠) Plato: Gorg. 524.

(٤١) Idem: Phaedo 112-114, Gorg. 524.

(٤٢) Spencer, A J. Death in Ancient Egypt. pp. 143-144.

أ ، ارمان : ديانة مصر القديمة ص ٢٦٣ .

(٤٣) إن ما وصلنا إليه من نتاج المسرح الإغريقى لا يزيد عن عشر ما أنتجه عمالقة المسرح . ففى مجال التراجيديا تنسب إلى ايسخولوس وسوفوكليس ويوربيديس حوالى ثلاثمائة مسرحية ، وصلنا منها فقط ما يزيد قليلا على الثلاثين مسرحية

– بل أن هناك العديد من المسرحيات التى كتبها ايسخولوس فقط كان من الممكن أن تمدنا بكنز من المعلومات حول تصوره للعالم الآخر ، منها على سبيل المثال لا الحصر مسرحيات :

« مرشدو الأرواح ، تيليفوس ، والنشور »

Dindorfii . G . : Poetarum Scenicorum Graecorum , PP . 606-607 .

(٤٤) Bonnard , A . : Les Dieux de la Grece , Mythologie Classique Illestre , P . 253 ; Greene , W .C . Moira , Fate , Good and Evil in Greek Thought P . 17 .

عبد المعطى شعراوى : أساطير إغريقية . الجزء الأول ص ١٣٧ .

ارتبط الموت فى ذهن الإغريق بالنوم ، لذلك جعلت منها الأساطير شقيقين توأمين ولهذا تكثر إشارة فى المسرحيات إلى أن الموت ما هو إلا نوم لا نهاية له ايسخولوس: «أجاممنون» ١٤٥١ ، سوفوكليس : « أنتيجونى » ٨١٠-٨١١ . يوريبيديس : « هيبوليتوس المتوج » ١٣٨٥-١٣٨٨ .

(٤٥) يوريبيديس : « الكستس » ٨٤٣ .

(٤٦) المصدر السابق ٧٤ – ٧٦ .

(٤٧) المصدر السابق ٢٥٩ – ٢٦٠ .

(٤٨) المصدر السابق ٢٦٠ .

(٤٩) المصدر السابق ٢٦٣ – ٢٦٤ .

(٥٠) المصدر السابق ٢٥٢ وما يليه .

(٥١) المصدر السابق ٢٥٧ ، سوفوكليس : أنتيجونى ٨١٠ – ٨١٦ .

(٥٢) سوفوكليس : « أوديب فى كولونوس » ١٥٧٠ وما يليه ،

14 D : who's who in Greek and Roman Mythology , P . 29 . Nilsson Kravitz , M .P . : The Mycenaean origin of Coreek Mythology P . 197 .

(٥٣) يوريبيديس : « هرقل مجنونًا » ٢٤ .

(٥٤) Graves , R: The Greek Myths , Vol . II , P . 152 .

(٥٥) سوفوكليس: « أوديب فى كولونوس » ١٥٥٦ – ١٥٦٤ ، ١٥٦٨ – ١٥٧٣ .

(٥٦) يوبيديس : « هيكابى » ٤٣٥ – ٤٣٦ ، سوفوكليس : « أنتيجونى » ٨٠٩ ، ٨٧٩ ، أياس ٣٩٤-٣٩٨ ، أوديب فى كولونوس ١٥٦٠-١٥٦٤ .

(٥٧) لمزيد من المعلومات حول تصور المصريين والسومريين للعالم الآخر كعالم مظلم انظر :

Brandon , S .G .F . : The Judgment of the Dead PP . 56-57 ; The Epic of Gilgamish , (trans . by N .K . Sandars) , PP . 106-107 ; Mackenzie , D .A . Egyptian Myth and Legend PP . 96-107 .

أدولف ارمان : ديانة مصر القديمة ص ٢٦٢ .

(٥٨) سوفوكليس : « أياس » ٨٥٦ – ٨٥٨ .

(٥٩) سوفوكليس : « أوديب فى كولونوس » ١٠٤٩ – ١٥٥٢ .

(٦٠) سوفوكليس : « أياس » ٦٠٨ ، « أوديب فى كولونوس » ١٥٦٠ – ١٥٦٤ .

(٦١) يوربيدس : « الكستس » ١٧ – ١٨ ، ٢٠٥ – ٢٠٧ ، « هيكابى » ٤٣٥ – ٤٣٦ ، « هيلينى » ٣٢٠ ، ٣٤٠–٣٤٥ ، ٥٣١ ، « هرقل مجنونا » ٥٥–٥٧ ، « هيبوليتوس المتوج » ٨٣٦–٨٣٧ ، « أفيجينيا فى أوليس » ٤٨٤ وما يليه ، « اورستيس » ١٠٢٥ ، « الفينيقيات » ١٣٣٩ .

(٦٢) يوربيديس : « الكستس » ٤٣٥ – ٤٣٧ .

(٦٣) يوربيديس : « هيكابى » ٤٢٢ .

(٦٤) سوفوكليس : « أوديب ملكا » ١٣٧١ – ١٣٧٤ .

(٦٥) ايسخولوس : « المستجيرات » ٢٣٠ – ٢٣١ .

(٦٦) Harrison . J . : Prolegomena P . 17 Zeus Meilichios is zeus in his underworld aspect , Zeus-Hades" ; see also Farnell , L .R . : The Higher aspects of Greek Religion . P . 21 .

(٦٧) Harrison . J . : Op . Cit . P . 18 .

(٦٨) Harrison , J . : Themis , A study of the social origin of Greek Religion P . 350 .

(٦٩) Guhl & Koner : Op . Cit . P . 283 .

(٧٠) Ibid, p. 283 .

(٧١) Grves , Op . Cit . Vol . I , P . 122 .

(٧٢) Bonnard , A : Les Dieux de la Grece P . 247 .

(٧٣) Plato : Craty . 403 E .

(٧٤) .Farnell . L .R . : The cults of Greek States , Vol . III , P . 282

(٧٥) يوربيديس : « هيلينى ٩٦ ، الكستس ٣٦٠ » ، « هرقل مجنونا » ٨٠٦

See also Nilsson , M .P . : La Religion populaire dans la Grece Antique PP . 87-88 ; Bonnard , A . Op . Cit . P . 248 .

(٧٦) Farnell . L .R . : The cults of Greek States , P . 280 .

(٧٧) Graves , R . : The Greek Myths , Vol . I .P . 122 .

(٧٨) Bonnard . A . : op. cit p. 247 .

(٧٩) ايسخولوس : « الصافحات » ٢٧٣ – ٢٧٥ .

(٨٠) المصدر السابق ٢٦٧ – ٢٧٢ .

(٨١) Kerenyi , C . : The Gods of the Greeks P . 204 .

(٨٢) يوربيديس : هيليني ١٣٠١ – ١٣٣٧ . أنظر أيضًا :

See also Muller , K .O . :

History of literature of Ancient Greece , PP . 230-231 ; Guthrie , W .K .C . : History of Greek Philosphy Vol . 1 , P . 475 Gods and Heroes by the American school of classical studies at Athens , P . 7 .

(٨٣) يوربيديس : « الكستس » ٣٥٩ – ٣٥٥ ، « ريسوس » ٩٦٣ – ٩٦٤ .

(٨٤) سوفوكليس : « أوديب فى كولونوس » ١٠٥٢ ، ١٥٤٨ ، ايسخولوس « حاملات القرابين » ٤٩٠ ، يوريبيديس : « الكستس » ٧٤٣–٧٤٦ ، ٨٥٢ ، « هرقل مجنونا » ٦٠٩ ، ١١٠٤ .

(٨٥) Farnell , L .R . ; op. Cit , Vol . P . 11 .

(٨٦) Ibid. p. 12 .

(٨٧) Murray , G . : Five stages of Greek Religion P . 55 .

(٨٨) ايسخولوس : « حاملات القرابين » ١٢٣ – ١٢٥ .

(٨٩) Harrison , J . : Prolegemena , PP . 43-44 .

(٩٠) ايسخولوس : « الفرس » ٦٢٩ – ٦٣٠ .

(٩١) سوفوكليس : « أياس » ٨٣١ – ٨٣٤ .

(٩٢) Gods and Heroes P . 12 .

(٩٣) ايسخولوس : « الصافحات » ٩١ .

(٩٤) ايسخولوس : « حاملات القرابين » ١ – ٢ .

(٩٥) من بين الآلهة كان زيوس يسمى الأب . وكان هذا الاسم يستخدم أحيانا بمفرده للدلالة على زيوس ، وفى أحيان أخرى يقال زيوس الأب وكان كل من هوميروس وهسيودوس يستخدم عبارة أبو البشر والآلهة للدلالة على زيوس

Farnell , L .R . : oq , cit. Vol . V , P . 13 .

(٩٦) سوفوكليس : « اليكترا » ١٣٩٥ – ١٣٩٧ .

(٩٧) المصدر السابق ١١٠ – ١١٦

(٩٨) ايسخولوس : « بروميثيوس مقيدا » ٩٦٦ – ٩٦٧ .

(٩٩) Devereux, G.: Dreams in Greek Tragedy P. 151.

(١٠٠) Kerenyi, C.: The Gods of the Greeks P. 42.

(١٠١) Graves, R.: The Greek Myths, Vol. I, P. 122 42.

(١٠٢) Kerenyi, C.: op. cit. P. 43; Donnard, A: Les dieux de la Grece P. 250.

(١٠٣) Karrison, J.: Prolegomena P. 223.

(١٠٤) ايسخولوس : « حاملات القرابين » ١٠٤٨ – ١٠٥٠ .

(١٠٥) المصدر السابق : ١٠٤٨ – ١٠٥٠ .

(١٠٦) المصدر السابق : ٥٢ .

(١٠٧) المصدر السابق : ٥٣ – ٥٦ .

(١٠٨) المصدر السابق : ٦٨ – ٧٠ .

(١٠٩) المصدر السابق : ٧١ – ٧٣ .

(١١٠) المصدر السابق : ٤١٦ – ٤١٧ .

(١١١) Harrison, J.: Prolegomena P. 64 ..

(١١٢) ايسخولوس : « الصافحات » ١٠٦ – ١٠٩ .

(١١٣) المصدر السابق : ٣١٩ .

(١١٤) بالرغم من أن كليتمنسترا قامت بقتل زوجها فإن ربات الانتقام لم يقمن بمطاردتها والانتقام منها ، لأن قتل المرأة لزوجها لا يعتبر قتلا لذوى القربى فى حين يقمن بمطاردة أورسيتيس للانتقام منه لقتله أمه .

(١١٥) ايسخولوس : « الصافحات » ٣١٢ – ٣١٥ .

(١١٦) Devereux. G. Op. Cit. P. 154.

(١١٧) Ibid PP. 153-154; Greene, W.C.: Op. Cit. P. 17.

(١١٨) سوفوكليس : « أياس » ٨٣٥ .

(١١٩) المصدر السابق : ٨٣٥ – ٨٣٨ .

(١٢٠) سوفوكليس : « أنتيجونى » ١٠٧٨ – ١٠٧٩ .

(١٢١) المصدر السابق : ١٠٧٤ – ١٠٧٦ .

(١٢٢) سوفوكليس : « اليكترا » ١١٠ – ١١٦ .

(١٢٣) سوفوكليس : « أوديب فى كولونوس » ١٠١ – ١٠٣ .

(١٢٤) يوربيديس : « اورستيس » ٣١٧ – ٣٢٦ .

(١٢٥) Guthrie , W .K .C; Orpherus and Greek Religion P . 185 .

(١٢٦) سوفوكليس : « بنات تراخيس » ٢٨١ – ٢٨٢ .

(١٢٧) سوفوكليس : « أوديب فى كولونوس » ١٣٨٩ – ١٣٩٠ .

(١٢٨) تارتاروس هو غور سحيق فى باطن الأرض ، فهو يقع فى أعماق الأرض لذلك حبس فيه زيوس التياتن حتى لا يكون هناك أدنى أمل فى خروجهم ، فهو يبعد عن هاديس مقدار بعد الأرض عن السماء . لكنه استخدم فيما بعد ، خاصة على لسان التراجيديين ، كمرادف لكلمة هاديس

Lexicon Universal Encyclopedia , Vol . 19 .

(١٢٩) « إريبوس » : هو مكان يوجد فى ذلك الظلام الممتد بين الأرض وهاديس وكان الموتى يمرون به أثناء نزولهم إلى هاديس ، وأريبوس المجسد هو ابن الخواء وشقيق الليل

Lexicon Universal Encyclopedia , Vol . 17 .

(١٣٠) سوفوكليس : أوديب فى كولونوس ١٦٦١ – ١٦٦٢ .

(١٣١) المصدر السابق : ١٦٨٢ – ١٦٨٣ .

(١٣٢) ارستوفانيس : السلام ٨٣٢ – ٨٣٣ .

(١٣٣) Spencer , A .J . : Death in Egypt P . 140 .

أدولف ارمان : ديانة مصر القديمة ص ٢٣٨ .

(١٣٤) Guthrie , W .K .C; Orpherus and Greek Religion P . 185 .

(١٣٥) يوربيديس : هيبوليتوس المتوج ١٩٠–١٩٣ .

الفصل الثالث

محاكمة الموتى
وحياة ما بعد الموت

الفصل الثالث

محاكمة الموتى
وحياة ما بعد الموت

إن عادات الدفن التى مارسها الإنسان منذ العصر الباليوليثى تدل على اعتقاده بأن الموت ليس نهاية للوجود الإنسانى ، بل إن الموتى سيواصلون حياتهم ، فى مكان ما ، بشكل ما إلى أبد الآبدين[١] . ولقد كان الإيمان بوجود حياة آخرى بعد الموت عقيدة سائدة فى معظم الحضارات التى عرفها التاريخ الإنسانى ، وإن اختلف كل شعب عن غيره فى تصوره لهذه الحياة طبقا لشخصيته ومفاهيمه الحضارية[٢] . ولكن كيف توصل الإنسان فى هذه الفترة المبكرة من تاريخه إلى الاعتقاد بوجود حياة بعد الموت ؟ .

يفسر العالم الشهير J. G. Frazer بداية ظهور هذا الاعتقاد برؤيه الإنسان البدائى للموتى فى أحلامه . فاستنتج من ذلك أن ما شاهده بعينيه من تحلل أجسادهم وفنائها ، لا يعنى نهاية وجودهم ، ومن ثم فهم يحيون فى مكان ما على نحو ما حيث يمكنهم القيام بكل الأفعال ومنها الظهور للأحياء فى أحلامهم[٣] .

وحين عرف الإنسان الزراعة وأنشأ مجتمعات مستقرة أدت بعد ذلك إلى وجود حضارات عريقة ، ازداد أمله فى وجود حياة بعد الموت . فحين نظر الإنسان لما حوله من كائنات وراقب دورة حياة النبات لاحظ أنه لا يموت بشكل نهائى ، فموت النبات المؤقت فى فصل الخريف يتبعه ميلاد جديد فى فصل الربيع ، وكما يدفن النبات فى الأرض ، ليعود للظهور مرة أخرى فى صورة أكثر اكتمالا وإشراقا اعتقد الإنسان أن موته ليس نهاية وجوده ، وأنه بعد موته ودفنه فى الأرض التى تضم الحبوب والنباتات فسوف يحيا فى عالم آخر[٤] .

لذلك ربطت معظم الحضارات الإنسانية بين آلهة الخصب والنماء والموت والعالم الآخر مثل أوزيريس وأدونيس وتموز وديونيسوس[٥] . ولا يعنى ذلك أن جميع الشعوب قد أعطت حياة ما بعد الموت ، نفس القدر من الاهتمام ، فعلى حين كرست بعض الشعوب

حياتها الدينوية من أجل الحصول على مصير أفضل بعد الموت ، نظرت شعوب أخرى لظاهرة الموت باستخفاف وشغلتها مباهج ومشاكل الحياة عن التفكير فيما عداها[٦] .

ولقد كان الإيمان بالبعث والحياة الأخرى إحدى الدعامات التى قامت عليها الحضارة المصرية القديمة ، وكانت هذه العقيدة تؤثر فى كافة وجوه الحضارة المصرية الفرعونية[٧] ، ومنها انتقلت إلى العديد من الأقطار التى ارتبطت ومصر بعلاقات ثقافية أو تجارية .

ولكن هل تصور الإنسان أن جميع الموتى بعد أن يُبعثوا من موتهم ، يشتركون جميعا في نفس المصير ويحيون نفس الحياة ، أم أن هناك اختلافًا فى المصير بعد الموت بين شخص وآخر ؟ وإن كان هناك اختلاف فعلى أى الأسس يتم تحديد شكل الحياة التى سيحياها كل منهم فى العالم الآخر ؟

لقد اعتقد المصريون القدماء أن الموتى يخضعون لنوع صارم من المحاكمة ، يتحدد على أساسها مصيرهم بعد الموت . ويوضح الفصل الخامس والعشرون بعد المائة من كتاب الموتى طريقة محاكمة المتوفى على ما قدمه فى الحياة الدنيا من خير أو شر ، أمام محكمة العدل الإلهية التى يرأسها الإله أوزيريس[٨] . كانت محاكمة الموتى تجرى فى قاعة تسمى «قاعة الحقيقتين» التى يتصدرها أوزيريس جالسا على عرشه وبجانبه أختاه إيزيس ونفتيس ، يحوط به عدد كبير من النواب أوالقضاة بينما يتوسط القاعة ميزان كبير لوزن أعمال الميت[٩] .

وعندما يقوم أنوبيس بإدخال الميت إلى تلك القاعة ، فإنه يسرد تصريحا مطولا عن براءته فى عبارات سلبية (لم أفعل كذا وكذا) وينكر اقترافه أية خطيئة[١٠] ، عندئذ تكلف المحكمة أحد أعضائها أن يزن قلبه فى الميزان فتوضع فى إحدى كفتى الميزان ريشة ويوضع قلبه فى الكفة الأخرى فإن خفت كفة قلبه كان صادقا ، أما إذا ثقلت فيكون من الكاذبين .

وبناء على نتيجة المحاكمة يتحدد مصيره ، فإذا كان صادقا دخل جنة أوزيريس يستمتع فيها بكل ما تشتهيه الأنفس إلى الأبد ، إما إذا ثبت كذبه ، يلقى به إلى حيوان مفترس ، يؤتى به لهذا الغرض ، فيلتهمه أو يلقى به فى النار[١١] .

ولقد أثرت الحضارة المصرية الفرعونية فى كثير من الحضارات التى ارتبطت ومصر بعلاقات مختلفة ، ولقد كان العالم الأثرى ايفانز Sir L.Evans هو أول من نبه إلى وجود تأثير شرقى على الحضارة الكريتية[١٢] ، ثم تبعه العديد من العلماء وكثرت الدراسات التى توضح تأثير الحضارة المصرية فى غيرها من الحضارات ، وخاصة الحضارة الإغريقية[١٣] .

ومن سوء الحظ فإن الدليل الأثرى سيكون وسيلتنا الرئيسية فى التعرف على الحضارة الكريتية وتأثرها بالحضارة المصرية بصفة خاصة فى الناحية الدينية ، وذلك لأن الدليل الأدبى المكتوب لا يقدم الكثير فى هذا المجال[١٤] .

وما يقدمه الدليل الأثرى فيما يتعلق بالتصور الكريتى لحياة ما بعد الموت تصور يسوده بعض الاضطراب ، بحكم أن المادة الأثرية ينقصها ما تقدمه المادة الأدبية المكتوبة من تحديد وتوضيح . لكن الانطباع العام الذى يخرج به الأثريون من دراسة عادات الدفن هو أن الكريتيين اعتقدوا بأن الموتى سيواصلون الحياة على نحو ما بعد موتهم ، وأنهم بالتالى سيكونون فى حاجة للطعام والشراب ، وهو تصور له ما يناظره عند العديد من الشعوب[١٥] .

كما أن المتاع الدنيوى والأثاث الجنائزى الذى وضعوه مع الموتى فى القبور يدل على أنهم تصوروا أن الحياة الأخرى – حياة ما بعد الموت – لن تختلف عن حياتهم التى عاشوها من قبل . ولقد تصور الكريتيون أن الموتى جميعا يشتركون فى ذلك المصير وسيواصلون حياتهم بعد الموت سواء فى قبورهم أو فى عالم آخر خاص بهم[١٦] . لكن هناك ما يوحى بتصورهم لمصير آخر أفضل يناله بعض الموتى هم ذوو الأصل والثروة والمكانة الاجتماعية المتميزة .

وهذا ما تدل عليه الرسومات الموجودة على جدران التابوت المشهور باسم تابوت «أياترياداه» والتى تسجل لحظة تقديم القرابين للميت[١٧] .

ومن بين القرابين العديدة التى يقدمونها ، لفت أنظار الأثريين وجود قارب[١٨] ، وهو ما يوحى بأن هذا الميت سوف يستخدم القارب فى الوصول إلى المكان الذى سوف يستقر فيه بعد موته والذى سيواصل فيه حياته بعد الموت .

ورغم أن الرسومات الموجودة على جدران التابوت لا تحدد المكان الذى سيذهب إليه الميت بقاربه ، فإن الإشارة إلى ذلك المكان لم تندثر نهائيا وبقيت كامنة فترة من الزمن لتظهر بعد ذلك فى أشعار هسيودوس الذى يقول إن بعض الأبطال القدامى قد تم حملهم عند موتهم إلى جزر المباركين حيث يعيشون فى سعادة لا يعرف الحزن طريقه إليهم ، ويضيف هسيودوس أن كرونوس يحكم الموتى فى هذه الجزر البهيجة[١٩] وترجع أهمية الإشارة إلى كرونوس إلى ارتباطه بكريت[٢٠] ، مما يؤكد أن هسيودوس كان يستعيد فى

ذهنه ذلك التصور المينوى الذى لم يندثر بتدمير كريت ، والذى أسهم بعد ذلك فى تكوين ذلك النسيج المتشابك الذى تكونت منه الديانة الإغريقية .

وهكذا يمكننا أن ننظر لذلك التابوت كدليل مادى على ذلك الاعتقاد الذى أشار إليه هسيودوس والذى يرجع إلى الديانة الكريتية . فصاحب ذلك التابوت ، نظرا لمكانته الاجتماعية أو لثرائه أو للإثنين معا ، لن يلحق بالموتى العاديين الذى يحيون فى العالم الآخر ، لكنه سيحمل فى قاربه ليلقى مصير الصفوة فى جزر المباركين .

وهذا المصير الأفضل الذى يلقاه بعض الموتى لم يرتبط فى تصور المينويين بأى عامل أخلاقى وبسلوك الميت أثناء حياته ، وهنا يختلف التصور المينوى عن التصور المصرى اختلافا كبيرا . وبعد أن انطفأت شعلة الحضارة التى أضاءت كريت ، فظهرت الحضارة الموكينية التى تمدنا بمعلومات هامة ومثيرة عن تصور الموكينيين لحياة ما بعد الموت .

كان من عادة الموكينيين أن يدفنوا موتاهم فى قبور فخمة دون حرق[٢١] وكانوا يدفنون معهم ثروات ضخمة من الأثاث الجنائزى ، ويقدمون لهم شتى أنواع القرابين . وهو ما يكشف عن اعتقادهم أن حياة الإنسان لا تنتهى بموته وأنه سيواصل الحياة فى عالم آخر حيث يحتاج إلى الطعام والشراب ، وحيث يستخدم كل أدواته التى كان يستخدمها أثناء حياته من حلى وسلاح وأدوات للزينة .

ومن بين الأشياء اللافتة للنظر التى كانت توضع مع الموتى فى قبورهم نماذج مصغرة للميزان معها نماذج لفراشات[٢٢] ورغم محاولة بعض العلماء نفى وجود صلة بين وجود نموذج للميزان فى القبور ومصير الموتى فى الحياة الأخرى[٢٣]، فإن الاتجاه الأغلب يؤكد وجود هذه الصلة وهو مايعنى أن الموكينيين تصوروا أن الموتى جميعا لا يلقون نفس المصير بعد الموت، ولا يحيون نفس الحياة فى العالم الآخر، بل أن هناك مصائر مختلفة، وأنماطًا مختلفة للحياة ، وأن كل ميت يلقى مصيره طبقا لأعماله ، وهو ما يظهر من نتيجة وزن الروح (ممثلة فى الفراشة) فى الميزان وهنايبرز واضحا التأثير المصرى على التصور الموكينى[٢٤] .

وإذا ما انتقلنا إلى بلاد اليونان نفسها ، سنجد وفرة فى المصادر التى تعبر عن تصور الإغريق لحياة ما بعد الموت وأسس محاكمة الموتى . والشعر الملحمى ، ممثلا فى ملحمتى هوميروس « الإلياذة » و « الأوديسا » هو أول هذه المصادر .

والنظرية العامة التى سادت فى عصر هوميروس وعكستها أعماله هى أن الإنسان كائن حى يتكون من ثلاثة أجزاء : الجسد والنفس والروح وطالما الإنسان حى ، فإن هذه

الأجزاء تعمل معا فى توافق واتساق . فإذا أقبل الموت تفرقت هذه الأجزاء الثلاثة فيتحلل الجسد ، وتتحد النفس بالهواء ، على حين تتحول الروح إلى نسخة غير واضحة المعالم للميت عرفها الإغريق باسم الطيف(٢٥) .

والفكرة السائدة عن حياة ما بعد الموت عند هوميروس . أن الروح بعد تحولها إلى طيف تعيش وسط غيرها من الأطياف فى العالم الآخر ، حيث لا يمكنها سوى إصدار همهمات غير واضحة ، وليس لديها أدنى قدر من الوعى أو الإدراك يشترك فى هذا المصير الصالح والطالح ، الغنى والفقير ، الحاكم والمحكوم .

وبناء عليه فإن كثيرا من الباحثين ينفون فكرة أن الموتى عند هوميروس يحاسبون أو يحاكمون لينال المسئ عقابه وينال المحسن جزاء إحسانه(٢٦) فالعالم الكبير S.G.T.Brandon يرى أن فكرة محاكمة الموتى هى فى جوهرها فكرة معقدة قائمة على استيعاب الميت لحادثة موته وإدراكه لما قام به من أفعال أثناء حياته(٢٧) وهو ما لا يتوفر فى موتى هوميروس . ولكننا نسمح لأنفسنا بالاختلاف مع العالم الكبير S.G.T.Brandon فى نقطة أساسية بنى عليها نفيه لفكرة محاكمة الموتى ، وهى أن موتى هوميروس لا يستوعبون تجربة الموت ، وليس فى إمكانهم إدراك ما قاموا به من أفعال أثناء حياتهم .

فالموتى كما يصورهم هوميروس نفسه ، رغم كونهم أطيافًا يتمتعون بذاكرة قوية يحفظون فيها كل ما حدث لهم قبل وبعد موتهم ، وهو ما يتضح من حديث أودسيوس مع أمه ، وكذلك فى حديث اجاممنون وأخيليوس له(٢٨) فأم أودسيوس تدرك أنها تقيم فى هاديس بعد أن ماتت حزنا على ولدها أودسيوس ، كما تدرك صعوبة نزول الأحياء إلى العالم الآخر لأن بينهم وبينه أنهار عظيمة ومجارى مياه خطرة(٢٩) .

فى حين يحكى أجاممنون لأوديسيوس قصة موته على يد زوجته وعشيقها بل ويحكى عن تصرف زوجته المشين بعد قتله ، إذ تجاهلت إقامة الطقوس الجنائزية اللائقة لدفن جثمانه ، ثم يخبره أنها قامت بعد ذلك بقتل كاساندرا التى كان قد أحضرها معه من طروادة .

ومن اللافت للنظر أن أجاممنون يظهر على درجة من الوعى والتوقد الذهنى تسمح له باسداء النصح لأودسيوس حول الكيفية التى يجب أن يعامل بها زوجته(٣٠) . فى حين يظهر أخيليوس واعيا تماما بتجربة الموت ، وعلى درجة من اليقظة العقلية تجعله قادرا على التمييز بين الحياة والموت بحيث يفضل أن يكون حيا ولو عمل أجيرا من أجل لقمة العيش ، على أن يكون سيدا على جميع الموتى(٣١) .

أما تايريسياس العراف فمازال قادرا على التنبؤ بالمستقبل وكشف ما يخفيه الغيب فى جوفه من أحداث[٣٢] . وبطبيعة الحال فإن هذه الأمثلة تتعارض مع ذلك الوجود الباهت والصورة الهلامية وحالة الغيبوبة التى اعتاد البعض إلصاقها بموتى هوميروس . بالإضافة إلى ذلك ، فإن الموتى كما يصورهم هوميروس لا يحيون على نمط واحد ، بل تتفاوت مصائرهم وتختلف نوعية الحياة التى يحيونها بعد الموت - فهناك من يلقى أقسى أنواع العذاب ، وهناك من ينعم بحياة هانئة سعيدة .

ففى العالم الآخر مكان أسماه هوميروس السهل الألوسى حيث يقيم ردامانثوس ، حيث تكون الحياة سهلة ميسرة . فلا عواصف عاتية ولا مطر ، بل ربيع دائم ينعم به من يعيش هناك ، ومينيلاوس هو أحد الذين نالوا هذا المصير ، فهو يحيا فى السهل الألوسى وينعم بحياة هانئة بعد الموت لأنه تزوج هيلين سليلة الآلهة[٣٤] . كما يصور هوميروس العذاب الشديد الذى يقع على بعض من أخطأوا فى حق الآلهة فيقول أوديسيوس إنه رأى تيتيوس ممددا على الأرض بينما يقوم نسران بنهش كبده ويمدان منقاريهما فى أحشائه وهو لا يملك أن يدفعهما بعيدا لأنه استخدم العنف مع ليتو زوجه زيوس المجيدة[٣٥] . أما تنتالوس فكان يعانى من العطش الدائم والمياه من حوله ، وكلما هم بالشرب انحسرت المياه واختفت ، وكانت أشجار الفاكهة تحيط به من كل جانب لكنه كان يعانى من الجوع الدائم ، فكلما هم بقطف إحدى الثمار دفعتها الريح بعيدا[٣٦] . وسبب عقابه أنه سخر من الآلهة وأقام لهم وليمة قدم فيها لحم ابنه ، لكن الآلهة اكتشفت الأمر وعاقبته بالجوع والعطش الأبديين .

وآخر المعذبين هو سيسيفوس الذى قضى عقابه أن يمضى العمر يدفع صخرة هائلة إلى أعلى ، وحينما يصل إلى القمة وتوشك مهمته على الانتهاء تسقط الصخرة من علٍ يعاود الكرة مرة ومرات إلى ما لا نهاية[٣٧] ، ذلك لأنه أفشى سر رب الأسباب زيوس حين كان يطارح أيجينا الغرام[٣٨] .

ويشير هوميروس إلى وجود قضاة يحاكمون الموتى فى العالم الآخر ، من بينهم مينوس[٣٩] . فيقول أودسيوس أنه رأى فى هاديس مينوس المجيد ، ابن زيوس ، ممسكا فى يده بالصولجان الذهبى ، وكان يحكم بين الموتى وهو جالس فى مقعده ، بينما الموتى حوله قيام وقعود يطلبون منه الحكم :

« وهنالك شاهدت مينوس المجيد بن زيوس ، ممسكا بصولجان
ذهبى ، يحكم بين الموتى وهو جالس فى مقعده . بينما
هم جالسون أو وقوف حوله خلال مقر هاديس ذى البوابة
العريضة ، يسألون أن يحكم بينهم بالعدل »[٤٠] .

والصورة التى يرسمها هوميروس لمينوس ، قاضى الموتى ، يكتنفها الغموض ، ونعتقد أن هذا الغموض راجع إلى الأسلوب الذى صاغ به هوميروس عبارته ، فهو يستخدم الفعل (يعلن القوانين) وليس (يحاكم) ، كما أنه يجعل الموتى أنفسهم يطلبون منه أن يسبغ العدل عليهم مما يعطى إنطباعا بأن مهمة مينوس لا تتعدى إعلان قوانين واللوائح التى تنظم حياتهم فى العالم الآخر . وعلى الرغم من هذا الغموض الذى يحيط بصورة مينوس قاضى الموتى ، فإنها تذكرنا بصورة أوزيريس وهو جالس فى قاعه الحقيقتين يحاكم الموتى ويحدد لهم مصائرهم بعد الموت[٤١] وهنا يجب أن نضع نصب أعيننا أن مينوس هو فى الأصل ملك كريت التى كانت تربطها بمصر علاقات وثيقة ، والتى تأثرت بكثير من المفاهيم الدينية المصرية وخاصة ما يتعلق بالحياة بعد الموت[٤٢] . وبعد حديثه الغامض عن مينوس ، فإن هوميروس يذكر مباشرة أولئك الذين ينالون عقابا فى العالم الآخر . ورغم أن هذا التتالى لا يعنى أن هؤلاء ينالون عقابا حدده لهم مينوس قاضى الموتى ، فإنه لا ينفى وجود صلة بينهما[٤٣] .

ولكن من يذكرهم هوميروس على أنهم ينالون عقابا فى العالم الآخر هم الذين أخطأوا فى حق الآلهة فقط ، وليس هناك إشارة إلى العامل الأخلاقى فى محاسبة الموتى ، وهو فى هذا يختلف عن التصور المصرى القديم الذى جعل العامل الأخلاقى أساسا لمحاكمة الموتى ، كما أنه يختلف أيضا عن تصور فرجيليوس الذى صاغه فى « الإنيادة » .

فرغم وقوع فرجيليوس فى أسر أشعار سلفه الإغريقى ، إلا أنه يضع أساسا مختلفا لمحاكمة الموتى فى العالم الآخر[٤٤] . فحين ينزل إينياس إلى مملكة الموتى يشاهد بعض من ينالون أشد العقاب فيسأل العرافة عن الجرائم التى ارتكبوها والآثام التى اقترفوها فتجيبه قائلة :

« هنا يقيم فى عذاب الجحيم من هجر أخاه شقيق كبده ، أو من نهر أباه ، أو خذل محتاجا أو خدع تابعا . هنا فى عذاب الجحيم يقيم من كنزوا الذهب وضنوا به على الآخرين وهم هنا يمثلون الأغلبية وهنا الزانون والزانيات ينصب عليهم العذاب ، والذين أشعلوا نار الفتنة ، وخاضوا حروبا غير مقدسة ، والذين حنثوا بأيمانهم سجناء ينتظرون العقاب[٤٥] .

وهناك إشارة فى « الأوديسا » يفهم منها أن هوميروس يعتقد أن من يخطئون فى حق غيرهم من البشر ينالون عقابهم فى الحياة الدنيا[٤٦] ففى السطور الأولى « للأوديسا يقول زيوس إن البشر فى كثير من الأحيان يكونون – هم أنفسهم – المسئولين عما يعانونه من الآم ومصائر سيئة ، لأنهم يتجاوزون ما سطرته لهم الأقدار ، ويقومون بأعمال شريرة يستحقون أن ينالوا عليها العقاب ، ويضرب على ذلك مثلاً بأيجستوس الذى ضرب بتحذيرات الآلهة عرض الحائط فقتل أجاممنون وتزوج بامرأته ، وحين يلقى أيجستوس ذلك المصير السئ على يد أورستيس ، يكون قد كفّر بذلك عن خطاياه ودفع الثمن كاملا لجريمته[٤٧] .

وهكذا يمكننا أن نُجمِل تصور هوميروس لأسس تحديد مصير الموتى فى الحياة الأخرى بأنه حتى تلك الفترة كانت الآلهة هى المحور الأساسى الذى يدور حوله تحديد المصير فيما بعد الموت ، فمن ينحدر من سلالتهم أو يرتبط معهم بصلة النسب ينال المصير الأفضل فى السهل الألوسى (مثل مينيلاوس) ومن يخطئ فى حقهم يعاقب أشد العقاب (مثل تيتيوس وتانتالوس وسيسفوس) .

ولقد استبدلت العقيدة الأليوسية شرط الانتساب للآلهة لنيل المصير الأفضل فى العالم الآخر ، بشرط تلقى هذه الأسرار ، وبذلك اتسع الأمل فى أن ينعم قطاع أكبر من البشر بحياتهم فى العالم الآخر[٤٨] وأصبح من حق كل من تلقى تعاليم الأليوسية أن يأمل فى مصير أفضل وحياة أسعد بعد الموت .

ولقد نشأت « الأليوسية » فى مدينة أليوسيس[٤٩] ، حيث كان يوجد معبد الإلهة ديمتير وابنتها برسيفونى[٥٠] .

ومن المؤسف أن المعلومات التى توفرت لنا عن هذه « الأسرار » قليل للغاية رغم أهميتها فى الديانة الإغريقية ، ويرجع ذلك أن كل من كان يتلقاها كان يقسم ألاّ يبوح بشىء عنها ، وعلى ما يبدو فقد حافظوا على قسمهم[٥١]. ولكنها كانت تدور بصفة عامة حول مصير الإنسان بعدا لموت ، فكان كل من يتلقى هذه الأسرار ينتظر الموت بنفس مطمئنة ولا يخشاه ، أما من لم يعرف هذه الأسرار فلن ينال شيئا من الطيبات حينما يقضى نخبة وينتقل إلى عالم الظلمات[٥٢] .

إن هذا التضاد بين مصير من تلقى هذه الأسرار ومن لم يتلقاها يوضح بما لا يدع مجالا للشك أن تلقى هذه الأسرار كان عاملا حاسما – وربما العامل الوحيد – فى تحديد

مصير الإنسان بعد الموت ، وهو مايوحي بوجود شكل ما من أشكال المحاكمة للتمييز بين من تلقى هذه الأسرار ومن لم يتلقها لتحديد نوعية الحياة التى سيحياها كل منهم بعد الموت(٥٣) .

ولم تشر العقيدة الأليوسية أيضا إلى دور العامل الأخلاقى فى تحديد مصير الموتى وعلاقة أفعال الإنسان فى الحياة الدنيا بمصيره فيما بعد الموت .

ولم يظهر التأكيد على الجانب الأخلاقى وعلاقة سلوكيات الإنسان فى حياته بمصيره بعد الموت سوى فى العقيدة الأورفية .

وتنسب الأورفية إلى أورفيوس ، الذى اختلفت بشأنه الآراء ، وهل كان شخصية خيالية أم شخصية حقيقية ، وأن كان الرأى الأغلب أن أورفيوس اسم لشخصية حقيقية ، وكان ذا موهبة فذة فى الغناء والعزف على القيثارة(٥٤) . وإليه تنسب معظم الأشعار الدينية التى تبلورت من خلالها معالم الأورفية ، لذا يعتبر مؤسسا لهذه العقيدة(٥٥) .

وعن ظروف نشأة العقيدة الأورفية يرى العالم جلبرت مورى G. Murray أنها ظهرت كرد فعل للإحباطات والهزائم التى لونت القرن السادس قبل الميلاد من انحسار موجة إقامة المستعمرات ، ومن حروب داخلية عكرت صفو الحياة فى معظم المدن الإغريقية ، فانبثقت حركة دينية قوية ، تبلورت فى الأورفية ، كمحاولة للتسامى على الواقع المرير والمتطلع لحياة أخرى بعد الموت ينعم فيها الأتقياء بخلود أبدى ويشقى فيها الأشقياء بعذاب مقيم(٥٦) .

فى حين يرى العالم الكبير M. P. Nilsson أنه لا يمكن دراسة الأورفية كظاهرة منفصلة ، ولكن يجب أن توضع فى السياق العام لتلك الفترة باعتبارها صورة للتمرد العام الذى شهدته تلك الفترة على الديانة السلفية التقليدية(٥٧) .

ولقد لقيت الأورفية استجابة كبيرة من عامة الناس ، كما أثرت فى الحركة الثقافية بشكل عام ، فلم تخل الساحة الثقافية فى الفترة من القرن السادس قبل الميلاد إلى القرن الرابع بعد الميلاد من معلم أو أكثر من معلمى الأورفية(٥٨) .

ولقد قامت العقيدة الأورفية على عبادة الإله ديونيسوس(٥٩) ، باعتباره تجسيدا لآمال البشر فى البعث بعد الموت فلم يكن ديونيسوس فى نظر اتباعه إليها للخمر فقط ، بل كان الحياة نفسها ، الحياة التى تختفى فترة لتعود من جديد أكثر نضارة وأكثر إشراقا

كأنه النبات الذى يموت فى الشتاء ويعود من جديد خيرا وبركة فى الربيع(٦٠) ، لذلك كان اللبلاب رمزا له ، لأنه النبات الذى يرمز للحياة المتجددة أبدا(٦١) .

ويقول السيد W. Donaldson لأن الإغريق آمنوا أن الإله المسئول عن ظاهرة من الظواهر مسئول كذلك عن نقيضها ، فديونيسوس إله الحياة المتدفقة هو أيضا إله الموت والعالم الآخر(٦٢) .

لذلك اعتبر أتباع العقيدة الأورفية أن ديونيسوس هو نفسه الإله هاديس إله العالم الآخر ، وأن عليه تتعلق آمال البشر فى البعث والخلود(٦٣) .

وأقدم الوثائق الأدبية التى تربط بين ديونيسوس وهاديس هى إحدى الشذرات لهراقليطس يقول فيها :إن هاديس هو نفسه ديونيسوس الإله الذى تكرس له حفلات المجون الصاخبة التى تقيمها النسوة المتوحشات(٦٤) .

فى حين ترى السيدة Harrison لأن ديونيسوس قد ضم فى شخصيته اثنين من الآلهة غير الإغريقية : إله الخمر والمجون والطرب التراقى ، وزاجريوس الإله الكريتى الغامض الذى هو فى حقيقته إله الموت والبعث والخلود المصرى ، الإله أوزيريس(٦٥) .

وقضية الربط بين ديونيسوس وأوزيريس قضية طويلة ومعقدة ، بدأت بهيردوت(٦٦) . ولم تنته حتى الآن لأن الباحثين ما زالوا يضعونها قيد البحث والمناقشة(٦٧) .

ولكن أكثر ما يهمنا التركيز عليه هنا أن أحداث حياة كل من ديونيسوس وأوزيريس تتشابه إلى حد التماثل ، فكل منهما قد قتل ومزق جسده إربا ، لكنه عاد للحياة من جديد وبعث مرة أخرى(٦٨) ، لذلك كان من الطبيعى أن تتجسد فيهما آمال الموتى فى بعث أو ميلاد جديد بعد الموت ، وأن تقوم حولهما العبادات التى تعد أتباعها بالخلود والسعادة فى الحياة الأخرى ، حياة ما بعد الموت(٦٩) .

ويربط معظم العلماء بين الأورفية والفيثاغورية ، وذلك لتشابه مبادئهما(٧٠) ، ولأنهما نهلا معا من نفس المنبع ألا وهو الديانات الشرقية القديمة .

وتنسب الفيثاغورية لفيثاغورس الذى ولد بين سنتى ٥٨٠ - ٥٧٠ق .م فى جزيرة ساموس ، حيث عاش حتى بلغ مبلغ الرجال ، ثم هاجر منها إلى جنوب إيطاليا . ويقال أنه عرج على مصر وبعض بلاد الشرق فطاف فيها ونهل من معارفها(٧١) ، ثم عاد إلى

جنوب إيطاليا مرة أخرى حيث أسس « الجمعية الفيثاغورية » . وهى جمعية فلسفية دينية علمية جذبت إليها العديد من المريدين[٧٢] .

ولقد آمن الفيثاغوريون بخلود الروح وإمكانية فصلها عن الجسد ، لذلك عاشوا حياة طابعها التقشف والحرمان من ملذات الحياة حتى يمكنهم السمو بأرواحهم . وتخليصها من قيود سجنها الممثل فى الجسد فكانوا يرتدون الملابس الخشنة ، واكتفوا بالقليل من الطعام ، وحرموا على أنفسهم قتل الحيوان سواء لأكله أو لتقديمه كقربان لأنهم آمنوا بفكرة تناسخ الأرواح . وتقوم نظرية تناسخ الأرواح . على فكرة أن الروح فى جوهرها ذات طبيعة واحدة سواء كانت لإله أو لإنسان ، ويقولون إن الروح كانت تسكن فى البدء أعلى جزء فى السماء ، ولكن لأن كل الأرواح لا تستطيع أن تمكث على هذا القدر من الارتفاع فقد سقط بعضها وكان لزاما عليها أن تسكن أجسادا لتعيش بداخلها . وهكذا فإنه لا يوجد فرق عند الفيثاغوريين بين روح الإله وأرواح البشر سوى أن الأخيرة تسكن أجسادا مادية ، بينما بقيت الأولى فى السماوات العلا متحررة من آثار المادة[٧٣] .

ويتحتم أن تسكن الروح فى التجسد الأول جسد إنسان ، وبعد الموت تتم محاكمة الميت ويتحدد مصير الروح فإما أن تحيا حياة خالدة فى العالم الآخر أو تعاقب بالنزول إلى الأرض مرة أخرى وتسكن إنسانًا آخر أو حيوانًا وتظل الروح تدور فى عجلة التجسد هذه حتى تكفر تماما عن خطاياها وتتخلص من أدرانها ، ومن ثم يمكنها أن تعيش خالدة فى مملكة الموتى[٧٤] .

ولقد أشار هيرودوت فى كتابه الثانى إلى أن نظرية تناسخ الأرواح هى نظرية مصرية فى جوهرها وكتب يقول :

« إن المصريين هم أول من قالوا بهذه الفكرة وهى أن روح الإنسان خالدة وأن جسده بعد أن يبلى فإن روحه دائما تدخل فى جسم حيوان آخر ساعة ميلاده . وعندما تنهى الروح دورتها داخل كل المخلوقات البرية والبحرية والتى تطير ، فإنها تعود لتدخل من جديد فى جسم إنسان آخر عند مولده وهذه الدورة تستغرق منها مدة ثلاثة آلاف عام . ولقد تبنى عدد من الإغريق هذه الفكرة بعضهم من القدامى وبعضهم من المتأخرين وصوروها على أنها من ابتداعهم ورغم أننى أعرف أسماءهم لن أذكرها »[٧٥] .

ورغم حماس هيردوت الشديد لإرجاع هذه النظرية لأصول مصرية ، فإننا نتفق معه فى جزئية أن المصريين هم أول من نادى بفكرة خلود الروح ، لكننا فى الوقت نفسه

نختلف معه فى إرجاع نظرية تناسخ الأرواح ، كما جاءت فى الفلسفة الفيثاغورية إلى أصول مصرية ، ونتفق مع العالم T.Gomperz فى أن أوضح عقيدة تتجلى فيها نظرية تناسخ الأرواح هذه هى العقيدة الهندوسية التى ربطت بين تناسخ الأرواح وأعمال الإنسان فى حياته(٧٦) .

ومن الجلى أن أتباع العقيدة الأورفية – الفيثاغورية قد وجدوا فيها نوعا من التفسير لما يعانونه فى حياتهم ، وقسطا لا بأس به من السلوى والعزاء . فإذا ما بدا لإنسان ما أنه يعانى فى حياته من مصائب وويلات لا يستحقها فقد يكون ذلك لأنه قد اقترف إثما فى التجسد السابق أو لأنه لم يصل بعد إلى حالة من التطهر والنقاء بحيث ترضى عنه الآلهة(٧٧) .

وعلى عكس الأسرار الأليوسية التى أُحيطت بالكتمان ، وحرص أتباعها على عدم إذاعة شىء من تعاليمها ، فإن مبادئ وتعاليم الأورفية كانت تنظم فى أشعار وتقرأ على الملأ ، ولذلك كانت أكثر تأثيرا فى الحياة الثقافية(٧٨) . فقد أثرت فى الشاعر بنداروس ، وفى عمالقة المسرح الإغريقى ، ثم استمرت بعد ذلك لتظهر فى كتابات أفلاطون(٧٩) .

ورغم أننا لا نعرف على وجه اليقين إذا ما كان بنداروس منتسبا إلى العقيدة الأورفية أم لا ، فإن التصور الأورفى لأسس محاكمة الموتى وحياة ما بعد الموت قد أثر فيه وظهر واضحا فى أشعاره .

يقول بنداروس فى الأولمبية الثانية أن الموتى يحاكمون فى العالم الآخر ويحاسبون بشدة على أعمالهم فى الحياة الدنيا ، فمن ارتكب الخطايا يعاقب أشد العقاب ، ومن سلك طريق الفضيلة ينعم بحياته بعد الموت(٨٠) .

فالعامل الأخلاقى وسلوكيات الإنسان فى حياته هو المعيار الوحيد عند بنداروس فى محاكمة الموتى وفى تحديد مصير كل منهم فى العالم الآخر(٨١) لذلك تعتبر الأورفية خطوة كبرى في الديانة الإغريقية وفى الفكر الدينى. فبدلا من جعل الآلهة محور المحاكمة ، كما عند هوميروس ، وبدلا من الاكتفاء بتلقى بعض التعاليم وإقامة بعض الطقوس ، كما فى الأليوسية ، أصبحت أفعال الإنسان فى حياته هى التى تحدد نتيجة محاكمته وبالتالى نوعية الحياة التى يحياها فى العالم الآخر(٨٢) .

ولقد تأثر أفلاطون كذلك بالفكرة الأورفية القائلة بأن الروح كائن علوى إلهى محبوس فى الجسد حبسا مؤقتا . وهو يعتقد أن روح كل إنسان وجدت قبل مولده(٨٣) ، وأنها بعد الموت ستتقمص سلسلة أخرى من الحيوات فى أجساد جديدة(٨٤) . ولقد أشار

أفلاطون فى أكثر من محاورة لمصير الروح بعد الموت وهو يعتقد أن الروح بعد تحررها من سجن الجسد ، فإنها تقدم للمحاكمة ليتحدد مصيرها : فأما من صلحت أعماله فسوف يحيا فى جزر المنعمين ، فى حين يلقى الأشرار جزاء أعمالهم ، ويرسل بهم ليعاقبوا كل حسب ما اقترفه من ذنوب(٨٥) ، وعندما تكفر الروح عن ذنوبها وخطاياها يسمح لها باختيار حياة جديدة(٨٦) .

ويتحدث أفلاطون فى الجزء الأخير من « الجمهورية » عن خلود الروح ويضمن حديثه أسطورة مثيرة هى أسطورة « أردياؤس » Ardiaiosالتى تعكس مدى تأثره بالآراء والمعتقدات الأورفية .

تحكى الأسطورة أن شخصا يدعى « أردياؤس » لقى حتفه أثناء إحدى المعارك وحين عقدت الهدنة وسمح للطرفين بأخذ قتلاهما لدفنهم ، كانت جثته سليمة ولم تتحلل كغيرها من الجثث . وبينما الاستعدادات تجرى على قدم وساق لدفنه ، وبينما هو موضوع فوق المحرقة استعدادا لإشعال النار لجثته ، حدث شىء عجيب ، فقد عاد إلى الحياة بعد أن كان قد مضى على موته إثنى عشر يوما . وبدأ يقص قصته ويحكى لمن حوله عما شاهده فى رحلته إلى العالم الآخر .

يقول أردياؤس إن روحه بعد أن فارقت جسده – سافرت بصحبة آخرين إلى أن وصلت لمكان عجيب به فتحتان فى الأرض ، وفتحتان فى السماء . فى وسط هذه الفتحات يجلس قضاة يحاكمون الموتى ويعلنون لكل ميت قرارهم بشأنه فيأمرون الأخيار بأن يسلكوا الطريق الأيمن المؤدى إلى السماء ويعلقون حكمهم على صدورهم بينما يسلك الأشرار الطريق الأيسر المؤدى إلى تارتاروس وهم يخفون حكمهم خلف ظهورهم خجلا(٨٧) .

ولقد أثرت هذه المعتقدات الأورفية فى معظم الكتاب الإغريق المتأخرين والرومان بحيث استقرت فكرة أن الموتى يحاسبون على أعمالهم فى الحياة الدنيا وأن الصالحين ينالون المصير الأفضل فى العالم الآخر وينعمون فى جزر المباركين بينما يعاقب الطالحين ليكفروا عما ارتكبوا فى حياتهم الأولى من خطايا وآثام(٨٨) .

وكما تركت العقيدة الأورفية بصماتها على الشعر الغنائى والفلسفة ، فقد أثرت كذلك فى المسرح الإغريقى ، ونستطيع أن نلمح كثيرا من مبادئها وأفكارها تنساب من بين شفتى الشخصيات المسرحية .

فحين نقرأ إحدى شذرات ايسخولوس التى تعطى للإله زيوس من الأهمية ما يجعله الإله الواحد المسئول عن صيرورة العالم بما فيه من سماء وأرض[٨٩] نتذكر على الفور نظرية الخلق الأورفية التى تجعل من زيوس القوة المحركة لهذا الكون[٩٠] .

وحين يؤكد يوربيديس أن جميع البشر الأحياء منهم والأموات ، ينالون جزاء ما قاموا به من أعمال[٩١] . فإنه بلاشك يعكس ذلك التطور الذى وصل إليه الفكر الدينى الإغريقى بحيث أصبح معظم الإغريق يؤمنون أن هناك شكلا ما من أشكال محاكمة الموتى يتم على أساسه تحديد مصيرهم بعد الموت .

ولكن لنبدأ القصة من بدايتها: فى مسرحية «بروميثيوس فى الأغلال» « لايسخولوس » ، يعدد بروميثيوس أفضاله على البشر ، ويقول إن من ضمن هذه الأفضال إنه جعل الناس لا يعرفون مصائرهم مسبقا[٩٢] . وإنه غرس فى نفوسهم بدلا من ذلك آمالا كاذبة عمياء[٩٣] .

هذه الإشارة إلى الآمال الكاذبة تتناقض مع إسهامات بروميثوس فى تطوير وإثراء الحياة الإنسانية ، فالنار التى سرقها من الآلهة وقدمها للبشر هى رمز لكل ما ينير الذهن ويحرر الفكر .

ولكن من الممكن فهم كلمات بروميثيوس بصورة أوضح فى ضوء ما جاء فى محاورة جورجياس لأفلاطون . تقول المحاورة إنه فى عهد كرونوس وفى بدايات حكم زيوس ، كان الناس يحاكمون قبل أن يلفظوا أنفاسهم الأخيرة وهم أحياء ، وكان القضاة الذين يصدرون الأحكام أحياء أيضا[٩٤] .

ولكن ذلك الوضع سبب مظالم كثيرة ، فقرر زيوس أن يغير من تلك التجربة التى أثبتت فشلها ويعلن كبير الآلهة إنه سوف يصلح ذلك الوضع بأن يجعل الناس يجهلون موعد موتهم ، وأسند هذه المهمة لبروميثيوس ثم جعل المحاكمة تتم بعد الموت ، وليس قبله ، وذلك على يد قضاة ينتمون للعالم الآخر ، فيكون الجميع مجردين من كل ما من شأنه أن يؤثر على عملية المحاكمة[٩٥] .

وهكذا نلمس فيما تبقى من مسرحيات أيسخولوس إيمانا قويًا بأن الموت ليس نهاية الوجود الإنسانى ، بل إن هناك حياة أخرى فيما بعد الموت يحاكم فيها الموتى بناء على أعمالهم فى الحياة الدنيا[٩٦] . بل إن رب الأرباب زيوس يشرف بنفسه على محاكمة الموتى

« وفقا لما يقال فإن هناك (فى الدار الآخرة) زيوس آخر بين الموتى يقاضيهم على آثامهم ، ويعقد آخر محاكماتهم »[٩٧] .

وسواء يشير تعبير زيوس آخر إلى زيوس العالم الآخر ، زيوس ميلخيوس[٩٨] ، أو إلى الإله هاديس باعتباره نظيرا للإله زيوس ، فإن ما يعنينا هنا فى المقام الأول تأكيد وجود محاكمة للموتى فى العالم الآخر ، يحاسب فيها الموتى على أساس أخلاقى ، فيعاقبون على سلوكهم السيىء تجاه الآلهة وتجاه غيرهم من البشر .

وتقول الأيرينيات فى حديثهن مع أورستيس بعد قتله أمه أنهن سوف يحملنه إلى العالم الآخر حيث يلقى عقابه على جريمته البشعة وهناك سوف يرى آخرين ممن أخطأوا فى حق الإله ، أو فى حق الضيف الغريب أو فى حق الوالدين العزيزين ، وأن كلاً من هؤلاء سيلقى من العقاب ما يتناسب وجريمته[٩٩] .

ونود هنا أن نتأمل معالجة أيسخولوس لقصة انتقام أورسيتس ، لنتبين منها تصوره لدور الأيرينيات فى محاكمة الموتى .

حين نقرأ صلاة اليكترا بجانب قبر أبيها وتضرعها له أن يجعل الآلهة وربة العدالة المظفرة[١٠٠] . تقف بجانبها وبجانب أخيها كى يتما انتقامهما لروحه التى ازهقت غدرا ، حين نقرأ هذه الصلاة سيلفت نظرنا ذكره لربه العدالة ، فالعدالة هى جوهر مسرحيات ايسخولوس وبها تستقر الأمور فى عالمى الأحياء والموتى على السواء ، ومن ثم فهى شرط لإنتظام الكون[١٠١] .

ويلاحظ أن كل من يتحدث عن انتقام أورستيس من قتله أبيه ، كان يقرن هذا الانتقام باسم رب الأرباب زيوس وباسم ربة العدالة ، فعلى سبيل المثال يقول الكورس[١٠٢] :

« ولكنى يا ربات القدر العظيمات أضرع اليكن
أن تجعلن هذه المهمه تتحقق بمساعدة زيوس
ففى مقابل اللسان الذى يقطر بالعداوة
فلينزل العقاب على لسان يقطر أيضًا بالعداء
فكهذا تتحقق العدالة العظمى
وفى مقابل الدم المسفوك فليسفك دم مماثل
وعلى الباغى تدور الدوائر
فهذا ما تقوله أساطير الأولين منذ الأزل » .

ويتكرر هذا المعنى فى أكثر من موضع فى المسرحية ، فنسمع أورستيس يتضرع إلى زيوس كى يساعده فى تحقيق انتقامه لأبيه(١٠٣) .

وحين ينجح أورسيتس فى مهمته ويقتل أمه وعشيقها ، يصيح الكورس مغتبطا لأن العدل قد عاد بعد طول غياب إلى نصابه ، حين تحقق ذلك الانتقام الذى حرص الإله على أن يتم(١٠٤) ، كما أن ابنة زيوس التى يسميها البشر العدالة كانت توجه أورستيس وتشد من أزره فى مهمته(١٠٥) .

وبعد أن تتم عملية القتل ، تظهر الايرينيات اللائى جعل منهن التراث الإغريقى مدافعات عن صلة الدم(١٠٦) ، فقد أوكل إليهن القدر مهمة مطاردة من يسفك الدماء حتى تضيق به سبل الحياة ، أو يمهدن ببراعة لحائة تؤدى إلى موته(١٠٧) .

(ولكنه لن يكون حرا حرية مطلقة حتى بعد موته)(١٠٨) .

فالموت فى الحقيقة بداية لعملية محاكمته ومحاسبته على ما اقترف من جرائم .

لذلك نرى أنه ليس هناك ما يمنع من تصور أن المحاكمة التى تجرى لتحديد مصير أورستيس وهل هو مذنب، أم لا تمثل محاكمته فى العالم الآخر ، خاصة وأن الايرينيات يشرن إلى أنهن يطاردن المذنب حتى يصل إلى تحت الأرض ، كناية عن الموت(١٠٩) .

وإذا ما تقبلنا افتراض أن محاكمة أورستيس تماثل ما تصوره ايسخولوس عن كيفية محاكمة الموتى فى العالم الآخر ، نستطيع أن نخلص إلى أنه تصور أن الموتى يمرون أمام آلهة العالم الآخر وتتم مساءلتهم عما قاموا به فى حياتهم من أعمال ، ومن بين هذه الآلهة الايرينيات اللائى تخصصن فيها يبدو فى النظر فى جرائم القتل وسفك الدماء .

فمن بسط يديه وكانتا طاهرتين نظيفتين فلن ينصب عليه غضبهن ، بل يقض حياته فى العالم الآخر سعيدا آمنا(١١٠) .

أما من يخفى يديه خلف ظهره خشية أن يروا الدماء التى تلوثهما مثلما يفعل أورستيس فسيجد الأيرينيات واقفات له بالمرصاد ليعلن حقيقة جريمته وينتقمن للدم الذى أريق(١١١) .

ورغم أن ايسخولوس لا يحدد نوع العقاب الذى ينتظر المذنبين فى العالم الآخر ، فلم يكن ذلك مما لا يعرفه جمهور المسرح . فهو بالقطع يعرف ما يذكره هوميروس من أبشع أنواع العقاب التى يلقاها الثالوث الشهير سيزيفوس ، تانتالوس ، وتيتيوس . كما كان يعرف كذلك أنواع العقاب التى أشارت اليها العقيدة الأورفية مثل حمل الماء فى جرار

بلا قاع[١١٢] ، أو البقاء فى الوحل ، ولا أدل على سعة معرفة الإغريق بهذه الأنماط من العقاب من إشارات أرستوفانيس إليها فى مسرحياته[١١٣] .

وعندما يعالج يوربيديس نفس الموضوع ، قصة انتقام أورستيس من أمه وعشيقها ، فإنه يصور أورستيس على أنه الأداة التى سخرها الإله أبولون لتحقيق العدل[١١٤] ، فهو يعفى أورستيس تماما من وزر جريمة القتل .

ومن ثم لا يكون من المستغرب أن نسمع الكورس يبتهل للايرينيات كى يشفين أورستيس من نوبة الجنون التى أصابته بعد ارتكابه لجريمته[١١٥] .

هذا الابتهال للأيرينيات بالإضافة إلى ما تحفل به مسرحية « أورستيس » مع إشارات تزيح القتل عن كاهل أورسيتس هما خير دليل على تصور يوربيديس بأن أورستيس لن ينظر إليه باعتباره آثما عند محاكمته فى العالم الآخر ، رغم ارتكابه جريمة قتل يعاقب عليها القانون الوضعى الذى ينظم حياة البشر .

وهو نفس موقف سوفوكليس من أوديب . حين كتب سوفوكليس مسرحية « أوديب فى كولونوس » كان قاب قوسين أو أدنى من الموت وكأن هذا القرب من الموت قد دفعه بصورة لا شعورية إلى كتابة هذه النهاية السعيدة لحياة إنسان تعذب طويلا ، وارتكب من الآثام ما لم يتعمد ارتكابه على الإطلاق ، فنظم أنشودة تأليه درامى لهذا البطل[١١٦] ، يضمنها أراءه الفلسفية الدينية ويؤكد فيها أن الآلهة قد تجعل إنسانا ما يقاسى فى حياته ، لكنها تكافئه فى حياته الأخرى بعد الموت[١١٧] .

وفى الحقيقة فإننا نشعر بتعاطف سوفوكليس الشديد مع بطله المأساوى من خلال الكلمات الصادقة التى يضعها على لسان أوديب ليدافع بها عن نفسه فهو يقول إنه عانى من هذه الجرائم التى تنسب له أكثر منه فاعل لها .

« إننى أقاسى من أفعالى أكثر من كونى مرتكبًا لها عن عمد »[١١٨] .

ويتردد نفس هذا المعنى على لسان أوديب فى حديثه مع كريون ،إذ يقول له أنه قاسى كثيرا وعانى طويلا من هذه الأفعال التى تنسب إليه والتى لم يكن يملك لها دفعا لأنها إرادة الآلهة التى تنتقم من ذريته بأكملها وهو يتقبل قدره ، فلا راد لقضاء الآلهة ، لكنه فى الوقت نفسه يؤكد أنه لم يشارك فى هذه الجرائم عن عمد ، بل لقد سعى ما استطاع أن يهرب منها .

ويسأل أوديب كريون فى سخرية مريرة كيف يلوم الابن إذا ما أعلنت النبوءات أن حياة أبيه سوف تنتهى على يديه فى حين أن ذلك الابن لم يكن قد ولد بعد(١١٩) .

ويعترف أوديب أنه حينما التقى بالملك لايوس ، قتله فى مشاجرة يمكن أن تحدث بين أى شخصين فيقتل أحدهما الآخر دون أن يتوقف ليسأله إن كان أباه أم لا ...(١٢٠) .

أما فيما يتعلق بزواجه من أمه ، فإن أوديب – الابن الزوج – يؤكد أنه لم تكن لديه أدنى رغبة فى ذلك الزواج(١٢١) ، وإنما كان زواجه بالملكة هو المكافأة التى يجب أن يتلقاها نظير تخليص طيبة من ذلك المخلوق الذى روعها وهدد أهلها .

وينتهى أوديب من حديثه بقوله إنه لن ينظر إليه باعتباره مدانا سواء فيما يختص بذلك الزواج أو بجريمة القتل التى يصرون على إلصاقها به .

وفى الواقع فإن الجملة التى ينطق بها أوديب تحمل أهمية خاصة باعتبارها قد تشير إلى محاكمته بعد موته ، فهو يقول(١٢٢) .

« ولكننى لن أعتبر آثما سواء فيما يتعلق بذلك
الزواج (الملعون) أو فى قتلى لأبى ، وهو الأمر
الذى أحس منه بخجل ومراره ، والذى تحملنى
أنت وزره دائما » .

فرغم أن القانون الوضعى يدين أوديب ، فإنه يؤمن أنه بعد الموت وعندما يقف بين يدى قضاه العالم الآخر فسوف يعلنون أنه غير مدان ولذلك صاغ التبرئة فى زمن المستقبل .

فكما لا تهمل الآلهة إنزال العقاب بالبشر الذين يهجرون ما هو إلهى إلى ما هو شرير(١٢٣) . فإنها لا تنسى كذلك أن تكافىء أولئك الذين التزموا الفضيلة والذين عانوا فى حياتهم دون ذنب اقترفوه لذلك يؤكد يوربيديس(١٢٤) . إن جميع البشر الأموات منهم والأحياء ينالون جزاء ما قدمت أيديهم .

الهوامش

(١ Brandon , S .G .F . : The Judgment of the Dead , P . 2 .

(٢ Comperz , T . : The Greek Thinkers , Vol . 1 , P . 80 Men's thoughts have always been busy with images of the next world though the shapes and colours it assumes vary with national moods and circumstances" .

(٣ Frazer , J .G . : The Belief in Immortality and the Worship of the Dead , Vol . 1 , PP . 31-32 .

(٤ Bonnard , A . : Greek Civilization from the Ilid to the parthenon , P . 137 ; Greene , W .C . : Moire , Fate , Good and Evil in Greek Thought P . 10 .

(٥ Bonnard , A . Les dieux de la Grece P . 190 ; Budge , E .A .W . Egyptian Religion P . 599 ; Franell , L .R . : The Attributes of God P . 109 ; Harrison . J . Ancient Art and Ritual PP . 15 , 55 ; Themis , A study of the Social origin of Greek Religion P . 133 ; Muller , K .O . : History of literature of Ancient Greece P . 19 ; Reinach , S . Cults , Myths and Religions P. 7; Scott, P.D. Monscrieff: De Iside et Osiride" JHS, Vol.14XXVI, 1906 P . 80 .

(٦ Frazer , J .G . : Op . Cit . P . 32 .

(٧ Erman , A . : Life in Ancient Egypt , P . 318 .

(٨ Budge , E .A .W . : The Book of the Dead , P . LXV .

(٩ Idem : The Gods of the Egyptians P . 143 , Egyptian Religion .

(١٠ إن قراءة الفصل الخامس والعشرين بعد المائة من كتاب الموتى والمسمى « الاعتراف الانكارى » أو « انكار الخطايا » يعطينا تصورا كاملا ودقيقا للسلوك القويم وللأخلاق كما تخيلها المصريون. وهذا الفصل مقسم إلى خمس مجموعات تتصل كل مجموعة بناحية معينة فى السلوك الإنسانى ، ولقد قام العالم فلندرز بترى بنشر هذه المجموعات الخمس فى صورتها الكاملة كالآتى : « لم ألحق ضررا ما بأى إنسان ، ولم أعمل على إشقاء حيوان ، ولم أستبدل الحسنة بالسيئة ولم أعرف الشر ولم أعمله ، ولم أقدم مصلحتى الخاصة على واجبى ، ولم يشكنى أحد لرب الأسرة ، لم ألعن الآلهة ، لم أسع إلى إشقاء إنسان أو أتسبب فى فقر أحد لم أرتكب ما يغضب الإله ، لم أحرض خادما على عصيان سيده ، لم أتسبب فى مرض أحد ، ولم أتسبب فى بكاء حد ، ولم أقتل ، ولم أحرض على قتل أحد ، ولم أتسبب فى حرمان إنسان من حق له ، لم أنقص من قرابين المعابد ، ولم أسرق

الفطائر المقدسة التى تقدم للآلهة ولم أسلب خبز الموتى الأمجاد ، ولم أرتكب الفاحشة فى حرم الآلهة ، ولم أدنس نفسى فى حرم الإله ، ولم أنقص كيل الحنطة ، ولم أنقص المقياس ، ولم أرتكب الغش فى الحقول ، ولم أطفف فى الميزان ، ولم أتسبب فى فقر أحد بالتلاعب في الميزان ، لم أختطف اللبن من فم الرضيع ، ولم أطرد الماشية من مراعيها ، ولم أقتنص الطيور من رحاب الآلهة ، ولم أصد السمك من بحيراتهم ، ولم أصد الماء فى موسم جريانه ، ولم أقم سدا فى مجراه ، ولم أطفئ شعلة فى وقت الحاجة إليها ، ولم أخالف الحدود بتناول اللحوم فى غير الأيام المخصصة لتناولها ، ولم أطارد الماشية وغيرها من الحيوانات المقدسة ، ولم أعترض على إرادة الله».

فلندرزبيرى : الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة ص ١٤٢ – ١٤٦ .

(١١) إرمان (ادولف) : ديانة مصر القديمة ص ٢٥٤ – ٢٥٩ ، بيرمونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة ص ٤١٣–٤١٤ .

(١٢) Sir L. Evans : Index to the palace of Minos ; S.V. Egypt , PP. 44-45.

(١٣) Kantor , A. : "The Aegean and the Orient in the Second Millenium B.C." American Journal of Archeology , 1947 , PP. 51-62 ; Olmstead A.T. History of the Persian Empire , P. 206 , Comperz , T. Greek Thinkers , Vol. 1 , P. 95.

(١٤) لايقدم الدليل الأدبى المكتوب الكثير لأن ما قد تم فك رموزه للآن من الخط Linear B. لا يلقى سوى ضوء ضئيلا على الديانة فى كريت فى الفترة التى يؤرخ لها (حوالى ١٤٠٠–١٢٠٠ ق.م.) ومن المحتمل أن تتضح الصورة أكثر إذا ما تم فك رموز خط Liner A

Burn, A.R.: History of Greece PP. 41-43 , Brandon S.G.F.: The Judgment o6f the Dead P. 76.

(١٥) Brandon , S.G.F. : Man and his Destiny in Great Religions PP. 72 , 110-112.

(١٦) Idem. : The Judgment of the Dead , P. 765.

(١٧) Ibid, P. 77.

(١٨) من المعروف عادة أن دفن قارب مع الموتى أو تقديمه لهم ضمن القرابين هى فى الأصل عادة فرعونية فقد حرص المصريون القدماء على وضع قارب صغير من الصلصال مع الميت حيث يمكنه عبور المياه التى تحيط بحقول الأبرار .

Erman , A. Life in Ancient Egypt P. 7, Spencer , A.J. Death in Ancient Egypt P. 30 ..

(١٩) Hesiod : Works and Days , 169-173 .

(٢٠) Brandon , S .G .F . : The Judgment of the Dead , P . 77 .

(٢١) Burn, A.R.: Op. cit. 44-47.

(٢٢) Brandon , S .G .F . : op. cit. P . 78 .

(٢٣) يعتقد السيد M .P . Nilsson أن هذه الموازين كانت توضع فى قبور السيدات باعتبارها من ضمن الأدوات التى تستخدم فى الأغراض المنزلية ، غير أنه لم يفسر سبب وجود نماذج للفراشات التى تمثل الروح مع الميزان .

Nilsson , M .P.: The Minoan- Mycenaean Religion and its survival in Greek Religions, pp.34-36 .

(٢٤) Brandon , S .G .F . : The Judgment of the Dead , P . 79 . In such speculation we also wonder whether the Egyptian be ghing of the heart of the heart of the deceased had any influence here , for Egyptian influence can be traced in many other aspects of Cretan and Mycenaean culture" .

(٢٥) Homer : Ody . XI , 601-608 .

(٢٦) Taylor, H.O.: Ancient Ideals, Vol . 1, P. 163 "small chane for reward and punishment among such shadows. Desolate was the fate of the pious and impious, hero and coward"., See also Guhrie. W.K.C. History of Greek philosophy P. 196, Adkins , A .W .H . Merit and Responsibility , P . 138 .

(٢٧) Brandon , S .G .F . : Op . Cit . P . 2 .

(٢٨) Homer . Ody . , XI 404 ff , 467 ff .

(٢٩) Ody XI , 155 ff .

(٣٠) Homer. Ody. XI,,41-443

(٣١) Ibid . XI , 489-491 .

(٣٢) Ibid . XI , 100 ff .

(٣٣) من اللافت للنظر أن كلمتى الألوسى ورد أمانثوس ليستا من أصل إغريقى من حيث الاشتقاق ، مما يوحى أن هوميروس يعكس هنا تراثا أجنبيا .
قارن الأدويسا (الكتاب الرابع) ٥٦٣ – ٥٦٤ .

Brandon, S.G.F.: Op. Cit.14 P. 78, Harrison, J.: Prolegomena P. 610, Guthrie. W.K.C.: Orpheus and Greek Religion P. 152.

(٣٤) Homer : Ody . IV , 569 .

(٣٥) Ibid .: Ody . XI : 576-581 .

(٣٦) Ibid . , XI 582-592 .

(٣٧) Ibid . , XI 593-600 .

(٣٨) Guerber, H.A.: Myths of Ancient Greece and Rome P. 144
Graves, R.: The Greek Myths. Vol. 1 P. 217.

د. عبد المعطى شعراوى: أساطير إغريقية، الجزء الأول ص ١١٥ – ١٤٢.

(٣٩) مينوس هو ملك كريت الذى أطلق اسمه على الحضارة المينوية التى ازدهرت فى كريت حوالى ٣٠٠٠–١٤٥٠ق.م ويعتقد أن قصر اللابيرث الذى تم اكتشافه فى بدايات القرن العشرين هو قصر الملك مينوس. وبعد أن استقر مينوس على عرش كريت امتد نفوذه وكون امبراطورية كبرى كانت أثينا من ضمن المدن التابعة لها، وكانت تقوم بدفع الجزية لكريت، لكنها تخلصت على يد ثيسيوس من السيطرة المينوية. وبعد موته اعتبر مينوس قاضيا للموتى فى العالم الآخر ومعه رادمانثوس وأياكوس. Bonnard, A.: Les Dieux de la Grece, 50-253-254.

(٤٠) Homer: Ody, XI 568-571.

(٤١) Brandon, S.G.F.: The Judgment of the Dead P. 83 .

(٤٢) Farnell, L.R.: The Higher Aspects of Greek Religion P. 17.

(٤٣) Brandon. S.G.F. Op. Cit. PP& 94-95.

(٤٤) فرجيليوس: الإنياده. الكتاب السادس ٦١٠ – ٦١٥ ترجمة د. أحمد عتمان.

(٤٥) Reinach. S. Cults, Myths and Religions, P. 120.

(٤٦) But Crimes against men met their retribution) Taylor, H.O.: Ancient Ideals P. 163
(on earth, where valor and prudence also had their reward

(٤٧) Homer: Ody. 1, 32-43 .

(٤٨) Comperz, T.: Greek Thinkess, P.83 The Elysian Fields and the Fortunate Islands began to fill with inhabitants", Guthrie, W.K.C. Orpheus and Greek Religmions P. 45 Now the privilege was reserved, not for the initiated" .of Elysium

(٤٩) اليوسيس: مدينة ساحلية صغيرة تقع بالقرب من أثينا، وترجع أهميتها إلى وجود معبد ديميتروبرسيفونى بها. وترجع بعض أجزاء هذا المعبد للفترة الموكينية. ولقد وجه كل من بيزستراتوس وبركليس اهتماما كبيرا لواجهة ذلك المعبد، الذى كان يتم أجزاء مختلفة، والذى كان يحوى صفوفا من المقاعد تسع حوالى ثلاثة آلاف شخص. وأهم أجزاء المعبد حيث يتلقى المريدون أسرار هذه العقيدة.
Lexicon Universal Encyclopedia. Vol. 7.

(٥٠) Brandon; S.G.F.: Op. Cit. P. 79 .

فى حين ترى السيدة جين هاريسون أن العقيدة الأليوسية لم تقتصر على عبادة ديميتر وبرسيفونى وإنما كانت تشمل جميع المعبودات المؤنثة .

Harrison , J . : Prolegomena , PP . 150-151 In general mysteries seems to occur more usually in relation to the cult of women divinities , of herioines and earth- goddesses , from the worship of the Olympians in Homer they are markedly absent" .

(٥١) Hamilton , E . : The Greek Way . P . 275 .

(٥٢) Homeric hymn to Demeter 480 ff . and Guthrie . W .K .C . : History of Greek philosophy P . 197 , Hamilton , E . Op . Cit . P . 267 , Bonnard , A : Greek Civilization P . 137 .

(٥٣) Brandon . S .G .F . : The Judgment of the Dead P . 79 .

(٥٤) يوربيديس : « الكستس » ٣٥٧ وما يليه .

(٥٥) Guthrie , W .K .C . : Orpheus and Greek Religion P . 47 , Harrison , J . : Prolegomena P . 469 .

(٥٦) Murray . G . : History of Ancient Greek literature , PP . 64-65 .

(٥٧) Nilsson . M .P . : Greek piety P . 22 .

(٥٨) Murray . G . Op . Cit . P . 67 .

(٥٩) Nilsson, H.P.: Op. Cit. P. 23, Muller, K.O.: Op. Cit. P. 231. Kerenyi, C.: Dionysos PP. 349-350. Harrison. Themis P. 14.

(٦٠) Op . Cit . P . 350 , Reinach , . : Op .Farnell , L .R . : Cults of Greek States P . 182 , Kerenyi , C . : Cit . P . 34 .

(٦١) Harrison. J.:Op. Cit. P. 133.

(٦٢) Donaldson , T .W . : The Theatre of the Greeks P . 21 .

(٦٣) Muller , K .O . : Op . Cit . P . 321 , Guthrie . W .K .C . Orpheus and Greek Religion . PP . 55 .

(٦٤) Farnell , L .R . : The Cults of the Greek States P . 127 .

(٦٥) Harrison . T . : Myths of Greece and Rome P . 74 .

(٦٦) Herodotus , II . 144 . II , 42 .

(٦٧) Budge , E .A .W . : The Gods of the Egyptians P . 187 , Cooke , H .P . : Osiris , A study in Myths , Mysteries and Religion P . 81 , Harrison , J . : Ancient Art and Ritual , PP . 16-17 , Reinach , S . : Cults , Myths and Religions P . 34 . Scott-Moncrief : De Iside et Osiride JHS , Vol . XXVI . 1966 , PP . 87-88 .

(٦٨) Harrison , J . Themis PP . 14-15 .

(٦٩) Muller , K .O . : Op . Cit . P . 237 .

(٧٠) فى حين يربط معظـــم العلماء بين الأورفية والفيثاغوريـة ، فإن بعضهم – مثل

Muller يرى أنه لا يوجد تشابه بين تعاليم كل منهما وكذلك بين سلوكيات أتباعهما
Muller K.O. Op. Cit. P. 234.

(٧١) Gomperz, T.: Op. Cit. P. 102, Olmstead. A.T.: History of the Persian Empire. P. 210.

(٧٢) Guthrie. W.K.C.: History of Greek Philosophy P. 173 .
د . زكى نجيب محمود – أحمد أمين : قصة الفلسفة اليونانية ص ٢٣ .

(٧٣) Guthrie, W.K.C.: Orpheus and Greek Religion P. 167. Bonnard. A. Les Dieux de la Grece PP. 253-254 .

(٧٤) Taylor, H.O. Ancient Odeals P. 309, Guthrie, W.K.C.: History of Greek philosophy P. 202.
عبد الرحمن بدوى : ربيع الفكر اليونانى – ص ١١٤ : ١١٥ ، أدوين بيفان : الفلاسفة اليونان ص ٦٣ ولقد نقل أرسطوطاليس نظرية تناسخ الأرواح وقال : « فالنفس كما يقولون تنفذ من العالم الخارجى إلى الكائنات عند تنفسها وتحملها أجنحة الرياح ، إلا أنه يستحيل أن يحدث ذلك و لبعض الحيوانات لأنها لا تتنفس كلها ، وقد غاب هذا الأمر عن أصحاب أرسطوطاليس : كتاب النفس الكتاب الأول ، الجزء الخامس من سطور ٤١١ وما بعده .
ترجمة د . أحمد فؤاد الاهوانى .

(٧٥) Herodotus, II, 123.

(٧٦) Comperz, T.: Op. Cit. PP. 126-127 .
نظرية تناسخ الأزواج هى عقيدة هندوسية قديمة . وبالرغم من أنها لم تظهر بجلاء فى أسطورة الخلق الهندية المسماة Rigveda, إلا أنها تبلورت فى الأجزاء الأخيرة من كتاب الهندوسية المقدس المسمى Vedas, وهى الأجزاء المعروفة باسم Upanlishads ويرجع تاريخها لحوالى ٩٠٠–٦٠٠ ق.م . وتقوم هذه النظرية الهندوسية على اعتقاد بأن أرواح البشر هى أجزاء من الروح المقدسة ، وأن الإنسان يولد ويموت عدة مرات ، وأن كل ميلاد جديد مرتبط بأعمال الإنسان فى الحيوات السابقة والهدف من عملية التناسخ هو الوصول بالروح إلى حالة من التطهر والسمو لتضمها من جديد الروح الكونية المقدسة Lexicon universal Encyclopedia

لمزيد من المعلومات عن الهندوسية ونظرية تناسخ الأرواح انظر :

(Deussen, P.: The philosophy of the Upanishads, PP. 125-136)New York 1960

(٧٧) Rose, H J.: Ancient Greek Religion P. 125.

(٧٨) Farnell, L.R.: Higher Aspects of Greek Religion P. 139. Oliva, P.: The Birth of Greek Civilization P. 180.

(٧٩) Dickinson, G.L.: The Greek View of life PP. 39-40, Taylor, R: Introductory Readings in Metaphisics P. 23, Guthrie, W.K.C. Orpheus P. 169.

(٨٠) Pindar: 01, II, 57-80, Nilsson, M.P.: Greek piety P. 25, Muller, K.O.: History of Literature of Ancient Greece PP. 229-230, Dickinson, G.L.: Op. Cit. P. 40.

(٨١) Norwood, G.: Pindar P. 60, For the first time in European literature we hear the Iremendous doctrine that reward and punishment for the deeds of early life are meted out in another, on principle moral and moral only".

(٨٢) Guthrie, W.K.C.: Orpheus and Greek Religion P. 160, Nilsson, M.P.: Op. Cit. P. 26, Adkins, AW.H.: Merit and Responsibility PP. 140-141.

(٨٣) Plato: Timaues 34 EC.

(٨٤) Idem.: Phaedrus 249, Phaedo 107, 108,113,114,Meno,81 B.C.Republic10,617,Timaeus42,91.

(٨٥) Idem.: Phaedo 113, Gorgias 525.

(٨٦) Idem.: Phaedrus 249, Republic 10, 619.

(٨٧) Idem.: Republic X, 615-621.

(٨٨) Brandon, S.G.F.: The Judgment of the Dead, P. 94. what is evident is that later Greek and Latin writers attest to the existance of a well established belief in a post-mortem Judgment and to either a temporary or an everlasting expiation suffered by the quilty for their past misdeeds".

(٨٩) Guill Dindorfii: Poetarum Graecorum 295, P. 610.

(٩٠) Comperz, T.: The Greek Thinkers Vol. 1, P. 97.

(٩١) يوربيديس : « هيليني » ١٠١٣ – ١٠١٤ .

(٩٢) ايسخولوس برميثيوس مقيدا ٢٤٨ .

(٩٣) المصدر السابق ٢٥٠ – ٢٥٢ : أنظر كذلك

Greene, W.C.: Moira, Fate. Good and Evil in Greek thought PP. 119-120.

(٩٤) Plato Gorgias 523B.

(٩٥) Ibid. 523 E., see also D. Grene. Prometheus Bound) Introd. (P. 306-307.

(٩٦) Adkins, A.W.H. Op. Cit.: p.p. 144.

(٩٧) ايسخولوس : « المستجيرات » ٢٣٠ – ٢٣١ .

Adkins, A.W.H.: Op.Cit. PP. 144, 172, Greene W.C. Op. Cit. P. 111.

(٩٨) ويعزز من هذا الاحتمال تكرار الإشارة إلى زيوس فى مسرحية بسيجوستاسيا (أو النشور) وأنه يزن أرواح بعض الموتى لتحديد مصيرهم .

Dindorfii, G : Poetarum Scenicorum Graecorum, 261, PP. 608-609, see also Harrison, J. Themis P. 350.

(٩٩) ايسخولوس «الصافحات» ٢٦٩-٢٧٢، ارستوفانيس: «الضفادع» ١٤٦-١٥١.

(١٠٠) ايسخولوس : « الصافحات » ١٤٠ .

(١٠١) Bonnard, A: Greek civilization P. 163, Adkins, A.W. Op.Cit. P. 120, Greene, W.C. Op. Cit. P. 129.

(١٠٢) ايسخولوس : « حاملات القرابين » ٢٠٦ – ٣١٤ .

هناك بعض الاختلاف فى هذه السطور بين طبعة Teubner والطبعة التى أصدرها G. Dindorfii ولقد آثرنا هنا الأخذ بطبعة Teubner .

(١٠٣) ايسخولوس « حاملات القرابين » ٣٨٠ ، ٦٥٠ .

(١٠٤) المصدر السابق ٩٣٥ – ٩٤٥ .

(١٠٥) المصدر السابق ٩٤٨ – ٩٥٠ .

(١٠٦) ايسخولوس : « الصافحات » ٢١٠ انظر كذلك

Bonnard A. Les Dieux de la Grece P. 250, Greene W.C. Op. Cit. PP. 162-163, Adkins, A.W.H. Op. Cit. P. 144.

(١٠٧) ايسخولوس : « الصافحات » ٣٤٢ – ٣٨٠ .

(١٠٨) المصدر السابق ٣٤٠ .

(١٠٩) المصدر السابق ٣٣٩ .

(١١٠) المصدر السابق : ٣١٢ – ٣١٥ .

(١١١) المصدر السابق : ٣١٦ – ٣٢٠ .

(١١٢) إن عقوبة حمل الماء فى جرار بلاقاع هى فى الواقع معتقد خرافى قديم وشائع ، أخذه الأورفيون باعتباره أحد أنواع العقاب التى يقاسيها الآثمون فى العالم الآخر فى حين أن عقوبة البقاء فى الوحل هى اختراع أورفى بحت ولم ينسب لسواهم .

Guthrie, W.K.C. Orpheus and Greek Religion PP. 162-163, Nilsson, M.P.: Greek piety P. 26.

(١١٣) ارستوفانيس : « الضفادع » ١٤٥ – ١٤٦ .

(١١٤) بوربيديس : اورستيس ٧٦ ، ١٥٩ – ١٦٠ ، ٢٨٥ ، ٤١٦ ، ٥٩٦ – ٦٠٠ .

(١١٥) المصدر السابق : ٣١٦ وما يليه .

(١١٦) Bonnard, A: Greek civilization P. 94, Bellessort, A: Athenes et son Theatre PP. 179-180, Greene, W.C. Op. Cit. P. 141, Whitman C.H.: Sophocles, a study of heroic humanisum P.190, H arrison, J. Prolegomena P. 477.

(١١٧) سوفوكليس : « أوديب فى كولونوس » ٣٨٩ – ٣٩٠ .

(١١٨) المصدر السابق : ٢٦٦ – ٢٦٧ .

(١١٩) المصدر السابق : ٩٦٢ – ٩٧٣ .

(١٢٠) المصدر السابق : ٩٩١ – ٩٩٤ .

(١٢١) المصدر السابق : ٩٨١ – ٩٨٧ .

(١٢٢) المصدر السابق : ٩٨٨ – ٩٩٠ .

(١٢٣) المصدر السابق : ١٥٣٦ – ١٥٣٧ .

(١٢٤) يوربيديس : « هيلينى » ١٠١٣ – ١٠١٤ .

الفصل الرابع

العلاقة الجدلية
بين عالم الأحياء والعالم الآخر

الفصل الرابع

العلاقة الجدلية بين عالم الأحياء والعالم الآخر

إن دورة الحياة والموت تجمع بين عالمى الأحياء والموتى فى تناغم واتساق مذهل ، فإن الأرض ، الأم التى تلد الأشياء جميعًا من إنسان وحيوان ونبات ، وتتعهدهم بالعناية والرعاية وتمنحهم القوة ، تجمعهم مرة أخرى فى رحمها(١) ، لتعيد عملية الميلاد مرة ثانية . ويتكرر ذلك الميلاد والحصاد ما دامت الحياة مستمرة .

هذا التصور لدورة الحياة يزيل رهبة الموت من نفوس البشر إلى حد كبير ، لأن الموت لا يكون حينئذ النهاية المطلقة التى لا شىء بعدها سوى العدم ، بل أن الحياة تتجدد مع كل ميلاد جديد(٢) .

وعندما تنتهى حياة الإنسان تضمه الأرض بين جنباتها حيث يحيا فى عالم آخر خاص بالموتى .

ورغم بعد الشقة بين عالم الأحياء وعالم الموتى ، ورغم تصور الإنسان لوجود الكثير من العقبات والأخطار التى تفصل بينهما ، فإن الخيال الإنسانى تخطى كل ذلك وأقام علاقة مباشرة بينهما . لذلك عرفت كثير من الحضارت ما يعرف بقصص النزول ، نزول بعض الأحياء ، لسبب أو أخر ، إلى عالم الموتى والعودة مرة أخرى إلى عالمهم سالمين .

وأقدم هذه الرحلات التى حفظتها لنا الوثائق الأدبية هى رحلة الآلهة عشتار زوجة الإله تموز إلى مملكة الموتى ، أو عالم اللارجعة كما تشير إليه المصادر السومرية والبابلية(٣) .

ويحفل التراث الأغريقى كذلك بقصص نزول بعض الأحياء إلى عالم الظلمات والعودة مرة أخرى إلى النور .

ومن أشهر هذه الرحلات ، رحلة أودسيوس التى يصفها هوميروس فى الأوديسا . ففى نهاية الأنشودة العاشرة تخبر كيركى أودسيوس أن عليه القيام برحلة إلى بيت هاديس وبرسيفونى بحثا عن ذلك العراف الطيبى الضرير تاير يسياس ليسأله إن كان مكتوبا له أن ينجو ويصل إلى وطنه سالما . ويفرد هوميروس الأنشودة الحادية عشرة لوصف هذه الرحلة والحديث عمن قابلهم أودسيوس فى العالم الآخر وما شاهده فيه(٤) .

وتحكى الأساطير الأغريقية أن الآلهة ديميتر قد قامت بنفس الرحلة للعالم الآخر أثناء بحثها عن ابنتها برسيفونى التى اختطفها الإله هاديس ليتخذها زوجة له[٥] .

عندما أصاب الحزن قلب ديميتر لفقدان ابنتها ، طافت فى أرجاء الأرض باكية مولولة فجدبت الأرض وابتلى العالم بالمجاعة . لذلك تدخلت الآلهة لحسم الخلاف ، وتم الاتفاق بين ديميتر وبقية الآلهة على أنه إذا لم تكن برسيفونى قد تناولت طعامًا فى عالم الموتى فإنها تعود إلى أمها ، أما إذا كانت قد فعلت ، فلابد أن تبقى زوجة لهاديس . واستطاع هاديس أن يحملها بالحيلة والخديعة على تناول بعض الطعام الذى كان كفيلا بربطها به وبعالمه المظلم . وتم الاتفاق أخيرًا على أن تبقى برسيفونى مع هاديس نصف العام ومع أمها النصف الآخر ، فأصبحت برسيفونى بذلك تجسيدًا لذلك التزاوج بين عالم الأحياء والعالم الآخر[٦] .

ومن بين قصص النزول للعالم الآخر فى الأساطير الإغريقية ، قصة نزول أورفيوس لاستعادة زوجته يوروديكى والتى يعتقد السيد Guthrie أنها ترجع إلى عهد بعيد[٨] .

فعندما فقد أورفيوس الحبيبة أثر لدغة حية سامة ، طارت نفسه أسى عليها وطلب من زيوس أن يسمح له بالنزول إلى العالم السفلى . ولقد استطاع أورفيوس بغنائه الشجى الصادق ، وقيثارته التى تخرج أعذب الألحان أن يجعل خارون العبوس يوافق على ركوبه فى قاربه العتيق ليعبر به نهر ستيكس الذى يفصل بين عالم الأحياء وعالم الموتى .

وعندما نجح فى الوصول إلى بوابة هاديس وجد كربيروس يقف حارسًا عليها ، لكنه نجح بغنائه وعزفه ، فى جعله مستأنسا ولطيفًا[٩] .

وعندما وصل إلى قصر هاديس وبرسيفونى استطاع أن ينفذ إلى قلبيهما من أول وهلة عندما استغل موهبته الفذة فى العزف والغناء ، واستجابا إلى طلبه ووافقا على أن تعود يوروديكى إلى عالم الأحياء بشرط ألا ينظر إليها أورفيوس إلا بعد أن تغادر مملكة الموتى . ولكن أشواق أورفيوس الجياشة وحبه الكبير لزوجته وتلهفه على رؤيتها ، جعلوه لا ينتظر حتى تخرج يوروديكى تماما من هاديس ، فاختفت ثانية فى عالم الظلمات وفقدها للأبد[١٠] .

أما قصة نزول هراكليس إلى العالم الآخر ، الذى ذكرها هوميروس بطريقة عابرة فى « الأوديسا » والتى أشار إليها يوربيديس باسهاب فى مسرحية « هراكليس مجنونا » ،

فإنها تستحق أن نتأملها بتفصيل أكبر ، إذ أنها توضح تلك العلاقة الوثيقة بين عالمى الأحياء والموتى .

لقد كان هراكليس من أكثر الأبطال القدامى شهرة ، وقد ألهمت أعماله الخارقة الكثير من الفنانين الإغريق . وكان هراكليس على درجة من الشجاعة والقوة تقارب ما للآلهة ، رغم أن مغامراته كبشر هى التى جعلته محبوبًا ومشهورًا بين الإغريق[١١] .

ومن بين أعمال هراكليس الاثنى عشر الشهيرة ، لا يذكر هوميروس سوى قصة نزوله لهاديس لإحضار كربيروس[١٢] . وهى نفس المغامرة التى يذكرها يوربيديس فى مسرحية « هراكليس مجنونا »[١٣] ولكن من الواضح أن بقية أعماله كانت معروفة بدرجة كافية وإن لم يذكر أى منهما[١٤] .

عندما انتهى هراكليس من العمل الحادى عشر الخارق أمره يوروسثيوس أن ينجز العمل الأخير ، أن يحضر الكلب كربيروس الرهيب المكلف بحراسة بوابة الجحيم[١٥] . ولم تكن المهمة سهلة ، فكربيروس لم يكن كلبا عاديا ، فقد كان ضخم الجثة ، له ثلاثة رؤوس مزودة بالحيات السامة[١٦] .

ورغم ضراوة الصراع بين هراكليس والكلب كربيروس ،ينجح هراكليس فى الإمساك به ويعود إلى ساحة الملك يورسثيوس وخلفه تلك الغنيمة الثمنية التى تجسد انتصاره فى عالم الموت بعد أن أصبح قوة لا تقهر فى عالم الحياة[١٧] .

عندما ينهى هراكليس أعماله الاثنى عشر ، يعود إلى وطنه ليجد واحدا عاديا من البشر ، هو الملك ليكوس ، يسوق عائلته للموت . ينقذ هراكليس أهله من الملك المستبد وينزل به ما يستحق من عقاب[١٨] .

وما هى إلا لحظات قصيرة حتى تصيبه نوبة من الجنون يتحول فيها من قمة الانتصار إلى درك الهزيمة ، ففى نوبة الجنون تلك يقتل أبناءه ويترك أباه الشيخ ، يقتل أطفالا فى عمر الزهور كانت أمامهم الحياة رحلة طويلة ويترك شيخا هرما قاربت رحلته على الانتهاء . قمة السخرية من انتصاره الكاسح فى عالم الأحياء والموتى على السواء .

إن هذا الربط بين انتصار هراكليس فى عالم الموتى وهزيمته الأليمة فى عالم الأحياء يبرز فى سياق درامى رائع تلك العلاقة الوثيقة بين العالمين ، ويؤكد أنهما ليسا كيانين منفصلين يخضع كل منهما للقوانين التى تسيره فقط ، بل أن من يحطم دعامات أحد العالمين يجب أن يدفع الثمن فادحا فى العالم الآخر[١٩] .

وعندما يحين أجل هراكليس ويشرف على الموت ، فإن زيوس يلح على زوجته الغيور هيرا أن تنس حقدها على ابنه وتقبل أن يصبح إبنا لها ، وحين تفعل تصعد روح هراكليس إلى جبل أوليمبوس حيث يصبح إلها خالدا .

إن أسطورة هراكليس هى أسطورة بطل مغوار تحول من خلال ما لاقاه من متاعب من بشر فان إلى إله خالد[٢٠] .

وكما يحفل التراث الأدبى الأغريقى بقصص نزول بعض الآلهة وبعض البشر إلى عالم الموتى فإن فكرة صعود الموتى إلى عالم الأحياء من الأفكار التى سيطرت على الأغريق ، مثلهم فى ذلك مثل بعض الشعوب الأخرى .

فإن فكرة صعود أرواح الموتى إلى عالم الأحياء هى من الأفكار التى آمنت بها شعوب كثيرة .فقد ساد فى بابل اعتقاد بأن الموتى يصعدون إلى العالم العلوى ، عالم الأحياء ، ويأكلون من القرابين التى تقدم سنويا فى ذكرى الإله تموز ، إله الخصب والنماء ، وذلك فى شهر أغسطس (آب) من كل عام[٢١] .

وفى مصر الفرعونية آمن المصريون القدماء بنفس الفكرة واعتادوا أن يشعلوا المشاعل والمصابيح فى اليوم الأخير من العام وفى اليوم الأول للعام الجديد ، حتى تتمكن أرواح الموتى من رؤية طريقها بوضوح أثناء صعودها إلى عالمهم ، وعند عودتها مرة أخرى إلى عالمها[٢٢] .

كما ساد بين الفرس اعتقاد بأن الموتى يصعدون إلى عالم الأحياء أثناء العيد الذى أطلقوا عليه Tirajan . كما تصور الرومان أن أرواح الموتى تصعد إلى عالم الأحياء أثناء العيد المسمى Lemuria. وعندما تنتهى الاحتفالات يقوم رب كل أسرة بطرد الأرواح لتنزل إلى عالمها مرة أخرى[٢٣] .بل أن عالم الاجتماع الكبير J.G. Frazer يورد العديد من الأمثلة التى تؤكد إيمان شعوب عديدة بمثل هذه الفكرة حتى يومنا هذا[٢٤] ، كما تؤكد السيدة Harrison استمراية مثل هذا الاعتقاد من خلال بعض الطقوس والشعائر التى ما تزال تمارس حتى الآن فى بلاد عديدة[٢٥] .

ومن أشهر الأعياد الأغريقية التى تصور الأحياء أن الموتى يصعدون أثناءها للاختلاط بهم ثم العودة ثانية إلى عالمهم ، عيد الانثيستيريا .

كان عيد الانشيستيريا يقام سنويا فى اليوم الحادى عشر من شهر أنثيستريون ويستمر لمدة ثلاثة أيام . وكان كل يوم من الأيام الثلاثة يحمل اسمًا معينًا ، فاليوم الأول « يوم فتح الجرار » والثانى « يوم الأقداح » فى حين يسمى اليوم الثالث « يوم القدور »(٢٦) .

ولقد اختلف الباحثون بشأن اليوم الأول فى عيد الانيشيستريا والمسمى بيوم فتح الجرار واختلفت الآراء بشأن تلك الجرار التى كانت تفتح فى اليوم الحادى عشر من شهر انثيستيريون من كل عام . وتبلورت الآراء المختلفة فى اتجاهين أو تفسيرين مختلفين يمثلهما السيد . C. Kerenyiوالسيدة . J. Harrison

ومن اللافت للنظر أن كلا منهما يعتمد على نفس المصدر فى البرهنة على صحة رأيه . فهما يعتمدان معا على إحدى الأوانى الفخارية المحفوظة فى المتحف الجامعى فى فينيا ، ومرسوم عليها جرة ضخمة الحجم مدفونة حتى منتصفها تقريبا فى الأرض ، وبجانبها يقف هرميس ، مرشد الموتى ، ممسكا بعصاه . وهناك أيضًا ثلاث أرواح مرسومة وهى خارجة من تلك الجرة ، بينما هناك روح أخرى فى طريقها إلى الداخل(٢٧) يعتقد السيد C.kerenyiأنه فى اليوم الأول للعيد كانت جرار الخمر المعتقة من العام الماضى تفتح ليشرب الجميع فى احتفال صاخب ، وكانت رائحة الخمر تجتذب أرواح الموتى فتخرج من عالمها لتأخذ نصيبها وتشرب كما تشاء ويشرف عليها فى غدوها ورواحها هرميس ، مرشد الموتى .(٢٨)

بينما تؤكد السيدة J. Harrison أن تلك الجرار لم تكن سوى نوع من الجرار الكبيرة الحجم التى كانت تستخدم لدفن الموتى ، وقد أتم اكتشاف هذه النوعية من الجرار فى بعض الجبانات مثل ديبلون Dipylonفى أثينا ، وفى أماكن أخرى مثل أفيندا Aphindaوكورفو Corfu(٢٩) بل أن السيدة هاريسون ترى أن هذا النوع من الجرار الضخمة لم يقتصر استعماله على دفن الموتى ، بل أن الأحياء اضطروا للسكن فيه أثناء الحرب البلبونيز به عندما اكتظت أثينا باللاجئين(٣٠) .

تقول السيدة هاريسون أنه فى يوم فتح الجرار كان الأحياء يرفعون الغطاء عن هذه الجرار – القبور ، لتخرج منها أرواح الموتى لتشارك فى عيد الانثيستيريا ثم تعود إليها مرة أخرى بعد انتهاء الاحتفال وكان يشرف عليها فى غدوها ورواحها هرميس ، مرشد الموتى(٣١) .

وفى الواقع فإن التفسيرين – رغم تعارضهما – يؤكدان معا ما نهتم بتوضيحه هنا ألا وهو أن عالم الأحياء وعالم الموتى لم يكونا فى التصور الإغريقى عالمين منفصلين عن بعضهما : فالأحياء ينزلون إلى عالم الموتى وأرواح الموتى تخرج كلما شاءت لتختلط بالأحياء ثم تعود إلى عالمها مرة ثانية .

وبعد انتهاء نهار اليوم الثالث فى عيد الانثسيتيريا كان الجميع ينهمكون بكل همة ونشاط فى طرد الأرواح لتنزل إلى عالمها بعد أن انتهى العيد[٣٣] . وكان رب كل أسرة يطلب[٣٤] من الأرواح أن تغادر المدينة التى استضافتها لمدة ثلاثة أيام ، وتعود إلى عالمها المظلم ،فقد انتهى عيد الانثسيتريا .

ولم يكن من المتوقع أن تستجيب كل الأرواح لهذه الأوامر وتترك عالم الأحياء بسهولة وقد استعد الإغريق لهذه الحالة التى تتطلب معاملة خاصة كى يجبروا على ترك عالم الأحياء[٣٥] .

فقد كان هناك بعض النسوة اللائى تخصصن فى القيام بطقوس التطهر وطرد الأرواح[٣٦] ، فكان سكان المنزل الذى يبتلى بأحد الأرواح التى ترفض النزول ثانية إلى عالم الموتى ، يستدعون إحدى هؤلاء النسوة . فكانت المرأة تطلق الأدعية التى تستعيذ فيها بالآلهة وبالأبطال لرفع الأذى ودرء الشرور ، ثم تقوم بذبح أضحية من الحيوانات وتقوم بحرق البخور والملح والنباتات ذات الروائح النفاذة ثم تقام بعد ذلك صلاة لطرد هذه الروح ، ثم يقوم الجميع بتنظيف المدينة وتطهيرها من رائحة الموت[٣٧] .

وإذا كان البعض يقوم بمثل هذه الطقوس المعقدة كى تنزل أرواح الموتى إلى عالمها السفلى ، فإن البعض الآخر كان يقوم ، فى أوقات الأزمات ، بصب القرابين وهو يذرف الدمع الغزير وتنطلق عقيرته بالصراخ متوسلا لأرواح الموتى كى تصعد إلى عالمهم وتسديهم النصح وتقدم لهم المشورة[٣٨] . وهو ما يحدث فى مسرحية « الفرس » . فعندما تضيق السبل بالملكة أتوسا وبشيوخ فارس الذين أنهكتهم الكارثة ، لم يجدوا وسيلة للخروج من هذه المحنة التى ألمت بهم ، سوى استدعاء روح ملكهم الراحل داريوس ، كى يقدم لهم الرأى السديد والمشورة الصادقة كما كان يفعل أثناء حياته ، لذلك فإنهم يصفونه فى حديثهم بأنه يشبه الآلهة فى نصحه[٣٩]، إيمانا منهم باحتفاظ داريوس بقدرته على إسداء النصح وتقديم المشورة . يطلب شيوخ فارس من الملكة أتوسا أن تصب القرابين المقدسة لتنفذ فى ثنايا التربة بينما يرددون هم الأناشيد المهيبة ، متضرعين لآلهة العالم السفلى أن

تسمح بصعود روح داريوس ، لأنه إن كانت هناك وسيلة تدرأ هذه الشرور ، فإنه وحده من بين جميع البشر يستطيع أن يرشدهم إليها[٤٠] . ويستمر شيوخ فارس فى صلواتهم وتضرعاتهم ، يطلقون صرخات اليأس والبؤس ، صرخات التشاؤم والفزع ، إلى أن تظهر سحابة كثيفة فوق قبر الملك الراحل ، وعندما تنجلى ، يظهر شبح داريوس .

يسأل داريوس شيوخ فارس عن تلك الكارثة التى أصابت فارس وجعلتهم يذرفون الدمع ويمزقون الثياب وينبشون الثرى بالأظافر ، متوسلين إلى روحه كى تظهر لهم[٤١] يقول داريوس أن الفزع قد استولى عليه عندما رأى زوجته بجوار قبره[٤٢] وعندما رأى « شيوخ فارس الملتاعين » وسمع توسلاتهم لآلهة العالم الآخر كى يسمحوا لروحه بالصعود إلى عالمهم[٤٣] .

إن الحديث إلى الموتى ، وتصويرهم على أنهم مازالوا يحتفظون رغم موتهم ، بكافة حواسهم من سمع وبصر وإحساس يتكرر كثيرا خلال المسرحيات . فإن اليكترا تتحدث إلى روح أبيها أجاممنون وكأنه مازال يحتفظ بكافة حواسه ، لذلك فإنها تخاطبه مخاطبة الأحياء فهى تطلب منه أن يسمعها[٤٤] وتكرر الرجاء بعد ذلك أن يسمعها[٤٥] وأن يستجيب لتوسلاتها . كما تتكرر كلمة « اسمعنى » مرات عديدة على لسان الكورس حين يخاطب أجاممنون ، بل أن أعضاء الكورس يؤمنون أن روح أجاممنون سوف تخرج إليهم ، بعد سماع توسلاتهم ، كى تساعدهم فى الانتقام من قاتليه[٤٦] .

كذلك يتوسل أورستيس إلى الأرض التى تضم أباه ، أن تسمح لروحه بالخروج « ليرى » صراعه الضروس ضد قاتليه[٤٧] . إن حديث اليكترا وأورستيس إلى روح أجاممنون تعطينا إحساسا قويا بوجود أجاممنون الفعلى على خشبة المسرح ، فهما يذكّرانِه بالطريقة المهينة التى قتل بها حتى يستثيرا غضبه وسخطه[٤٨] . ولقد كان ايسخولوس موفقا للغاية حينما قسم الحديث الموجه إلى روح أجاممنون بين أورستيس واليكترا ، فكل منهما يضغط عليه من ناحية ، ويتوالى الضغط بتوالى الحديث حتى يصل إلى قمته عندما تسأله اليكترا عما إذا كان سينهض ويرفع رأسه للرد على تلك الإهانات التى وجهها إليه قاتلوه[٤٩] . فقد رسخ فى ذهن الإغريق أن الموتى – رغم موتهم – ليسوا فى حالة موات ، ولا يقطعون صلتهم بعالم الأحياء مهما باعدت بينهم المسافات والأزمان . ويتزايد ذلك الاعتقاد فى حالة الروح الغاضبة الثائرة لمن مات مقتولا ، فإن روحه تبعث باللعنات المدمرة من العالم الآخر إلى عالم الأحياء وتنتقم من قاتلها شر انتقام[٥٠] .

يمهد الكورس فى بداية مسرحية « حاملات القرابين » لانتقام روح أجاممنون من قاتليه قائلا : إن نار المحرقة تأتى على جثة الرجل حين يموت ، لكنها لا تهلك قلبه ذا الإرادة ، فيظهر غضبه على قاتليه ويجعلهم يدفعون الثمن[٥١] . وهذا هو مبعث خوف كليمنسترا وفزعها ، فهى تعرف حق المعرفة أن انتقام الموتى لا يحول دون حدوثه شيء ، وأنها ستدفع ثمن جريمتها وان طال الأمد[٥٢] .

لذلك فإنها تبعث اليكترا بالقرابين لتقديمها لروح أجاممنون ، علها تخفف من ثورته فلا يبعث بالأحلام المخيفة والكوابيس المفزعة لزوجته الخائنة ويعقب الكورس على حلم كلينمسترا وعلى خوفها وفزعها بقوله :

« إن مفسرى هذه الأحلام
الذين منحوا الضمان من الآلهة
يقولون إن الموتى فى أعماق الأرض
يلقون باللوم فى غضب على قاتليهم
ويعتمل الحقد فى نفوسهم ضدهم » .

هكذا يدق ايسخولوس ناقوس الخطر : أن انتبهوا فإن انتقام أجاممنون قادم لا محالة . فإن ذلك الملك الذى أنهت يد الغدر حياته ليس بِمُنْهٍ علاقته بقاتليه ، وإنما ستبقى روحه ثائرة إلى أن ترشد خطوات من ينتقمون له حتى تنتهى مهمتهم بنجاح .

فأجاممنون ، رغم موته ، هو المحور الأساسى الذى تدور حوله أحداث المسرحية ، وقد جاء وضع قبره فى وسط المسرح تجسيدا ماديا لوجوده المعنوى وهو المحرك الأول للأحداث لذلك فإننا نستشعر وجوده على المسرح أكثر من بعض الشخصيات الموجودة فعلا[٥٤] .

إن أجاممنون يبعث الأحلام المفزعة لتؤرق مضجع زوجته الخائنة وتعكر صفو حياتها فقد رأت كليمنسترا فيما يرى النائم أنها قد ولدت حية سامة ، وحين حاولت إرضاع وليدها – الحية – لدغها وأسال من صدرها اللبن مختلطا بالدماء[٥٥] .

فى حين يذكر سوفوكليس حلم كليمنسترا بصورة مغايرة ، فهو حلم يتدفق رومانسية : فقد رأت كليتسمترا فى منامها أن أجاممنون قد عاد إلى الحياة مرة أخرى ، وحين غرس صولجانه فى الأرض ، أينع كشجرة مباركة زرعت فى أرض خصبة ، وانتشرت الخضرة فى كل مكان حتى غطت موكيناى . وتقص خريشوسيمس أحداث هذا الحلم بقولها[٥٦] :

« هناك حديث يقال بأنها رأت أبانا
أباك وأبى ، عائدا مرة أخرى لها
وأنه أمسك صولجانه وغرسه (فى الأرض) ذلك الصولجان
الذى كان له فيما مضى ، وآل لايجستوس الآن . ومنه انبثقت عاليا
الفروع الصغيرة ، ونمت بغزارة حتى أنها
غطت أرض موكيناى كلها » .

وعلى الرغم من هذه الرومانسية التى تطغى على حلم كليتمسترا فإنها تستيقظ مذعورة ، وترسل ابنتها إلى قبر أبيها ومعها من القرابين ما اعتقدت أنه سوف يهدئ من ثورة غضب أجاممنون[٥٧] . ولم تكن كليتمنسترا وحدها التى تخشى من انتقام الموتى ، فالخوف من غضبه روح من مات مقتولا كان سمة عامة للمجتمع الإغريقى[٥٨] .

ويؤكد L. R. Farnell أن الخوف من انتقام روح من مات مقتولا يرجع إلى ما قبل هوميروس ، وإن كان هوميروس قد تجاهل أو تجنب الحديث عنه فإنه قد لعب دورا قويا فى المجتمع الأغريقى بعد هوميروس[٥٩] .

ولقد تصور الإغريق أن ثورة غضب روح من مات مقتولا لاتمثل خطرا على القاتل فقط ، بل كان خطرها يتسع ليشمل المجتمع الذى يعيش فيه القاتل ، ولذلك حرصت القوانين الإغريقية على توقيع العقوبة على القاتل[٦٠] . وحتى فى الحالات التى يحدث فيها القتل بطريق الخطأ ، فقد شرعت القوانين التى تقضى بإبعاد القاتل عن المجتمع ونفيه خارج الحدود حتى لا تصب روح القتيل جام غضبها على المجتمع الذى يضم بين جنباته القاتل[٦١] وهو ما يحدث فعلا فى مدينة طيبة . فإن روح الملك المقتول تثور وتبعث بالموت الأسود من أعماق الأرض ليدمر الأخضر واليابس فيموت الأطفال ويصيب العقم النساء ، وتتوقف الأرض عن إخراج زرعها ، فيسود القحط والدمار . ففى بداية مسرحية « أوديب ملكا » يصف أحد الكهنة حالة الدمار التى أصابت المدينة قائلا[٦٢] :

« إن الموات قد أصاب فاكهة الأرض وهى بعد براعم
وإن الجدب قد أصاب قطعان الماشية التى ترتاد المراعى
كما أصاب النساء ، فأصبحن عقيمات لا يولد لهن ولد » .

إن مدينة طيبة تعانى من كل أنواع المصائب دون أن يعرف أحد لذلك سببا . لذلك فإن أوديب ملك طيبة الجديد يبعث يستشير نبوءة دلفى ليعرف سبب ما يحدث فى المدينة

من كوارث ومصائب . وتأتى الإجابة بأن وجود قاتل الملك السابق لايوس فى المدينة يجعلها هدفا لغضب الآلهة ولثورة روح الملك المقتول الغاضبة[٦٣] .

وحتى يخلص أوديب المدينة من الدنس الذى أنزل بها شتى المصائب فإنه يعد أهل طيبة بأنه سيبحث عن القاتل وينزل به العقاب المناسب حتى تهدأ روح لايوس الغاضبة[٦٤] .

وحينما تتكشف الحقيقة ، ويعرف أوديب أنه قاتل أبيه فإنه يعاقب نفسه بأنه يفقأ عينيه ، ولكنها ليست بالعقوبة التى تعترف بها القوانين والعرف السائد . لذلك يعلن كريون العقوبة التى يجب أن تفرض على القاتل وهى النفى خارج طيبة[٦٥] . حتى تهدأ روح القتيل الثائرة وترفع مقتها وغضبها عن طيبة .

بل أن كريون يقترح أن تؤول إليه السلطة ، وأن يحكم طيبة بدلا من أبناء أوديب حتى تتخلص المدينة نهائيا من الدنس الذى أوردها المهالك[٦٦] .

وكانت هذه القوانين لا تقتصر على عقوبة النفى ، وإنما كانت تُحرم دفن رفات القاتل فى بلده التى نفى خارجها[٦٧] . ولكن بالنسبة لأوديب فإن الوضع يختلف حينما تعلن النبوءات أنه إذا ما دفن جسده فى طيبة فإنه سوف يجلب الخير والبركة على المدينة وعلى سكانها ، لذلك يأتى كريون إلى أثينا ويحاول إجبار أوديب على ترك منفاه والعودة إلى وطنه طيبة حتى يدفن فيها بعد موته ، لكنه يرفض ويعلن أنه يهدى رفاته لأثينا اعترافا منه بفضل الأثينيين الذين وقفوا بجانبه فى محنته[٦٨] .

وفى مسرحية « هيبوليتوس » ليوربيديس ، يحرص هيبوليتوس وهو يعانى سكرة الموت على أن يبرىء أباه من وزر موته بقوله « إننى أبرئ ساحتك من سفك دمى »[٦٩] . فيشكره الأب الملتاع ويثنى عليه ثناء عظيما لأنه ضمن بذلك ألا تطارده روح ابنه طلبا للقصاص والانتقام باعتباره المتسبب فى موته وهو ما يدلنا على استمرار اعتقاد الإغريق بأن الروح الغاضبة شر مستطير وخطر داهم على القاتل وعلى المجتمع الذى يعيش فيه[٧٠] .

وليس معنى ما سبق أن الشر هو كل ما توقعه البشر من الموتى ، وأن عالم الموتى لا يخرج من باطن الأرض إلا كل ما هو مهلك ومدمر . فإن أروستيس واليكترا فى مسرحية ايسخولوس « حاملات القرابين » يتضرعان إلى روح أجاممنون ، ويطلبان منها المساعدة والعون وإسباغ الخيرات وهو ما لا يطلب إلا من إله من الآلهة .

تقول اليكترا فى صلاتها لروح أبيها[٧١] :

« أبى (أيها الملك) الذى مات ميتة لا تليق بالملوك
امنحنى السلطة التى فى يدك كى أحكم بيتك » .

وفى أوقات الكوارث واشتداد المحن ، كانت أرواح الموتى أول ما يلجأ إليه الأحياء متضرعين كى تقف بجانبهم وتمد لهم يد العون والمساعدة. ففى مسرحية « سبعة ضد طيبة » يتضرع الكورس ويصلى لأرواح الأسلاف لتنقذهم من تلك الكارثة وأن تأخذ بيد المدينة إلى طريق النجاة ، فى مقابل ما كانوا يقدمونه لها من قرابين مبعثها الحب والإجلال[٧٣]. وفى مسرحية « الفرس » ينصح شيوخ فارس الملكة أتوسا أن تصب القرابين على قبر داريوس وأن تتضرع إليه أن يرسل لها ولابنها الخيرات من باطن الأرض إلى النور ، ويحجب الشرور فى باطن الأرض فتختفى فى الظلام[٧٤] .

وتنبئ هذه الكلمات عن إيمان قوى بقدرة الموتى الخارقة حتى أنهم يرسلوا ما شاؤا من الخيرات وأن يحجبوا ما شاؤا من الشرور فلا تؤذى أحباءهم .

ولقد تصور الإغريق أن كل ما عليهم القيام به لضمان استمرار اهتمام الموتى بهم ومد يد المساعدة لهم فى أوقات الشدة ، هو أن يستمروا فى رعاية قبورهم وتزويدهم بمختلف أنواع القرابين[٧٥] ولذلك فإنه من النادر أن تذهب إحدى الشخصيات المسرحية لزيارة قبور الموتى دون أن تأخذ معها من القرابين ما يسهل لها مهمتها مع أرواحهم وتجعلهم يستجيبون لكل ما تطلبه منهم .

وفيما يبدو غالى بعض الإغريق فى تقديم القرابين للموتى انتظارا لما يمكن أن يعم عليهم من خيرات ، بدرجة أثارت البعض الآخر فيسخر أرستوفانيس من هذه المغالاة وينتقدها فى إحدى الشذرات بقوله[٧٦] .

« عندما يموت أحدهم فإننا نبدأ فى القول
بأن القديس قد قضى نحبه ، وراح فى رقاد طويل
مبارك هو فى ذلك المكان ، فليس هناك ما يكدره
نعم ونقدم إليه القرابين المقدسة .
وكما لو كان إلها نسكب على قبره النبيذ .
متضرعين إليه أن يبعث إلينا بالخيرات من باطن الأرض لخارجها » .

إن سخرية أرستوفانيس وانتقاده لهذه الظاهرة ، تدل على مدى انتشارها حتى أصبحت أحد المظاهر الاجتماعية التى تناولها قلمه بالنقد .

وكان من أهم الخيرات التى توقعها الأحياء من الموتى أن يشملوا برعايتهم بذور النبات التى تدفن معهم فى أحضان الأرض الأم حتى تعود إليهم بعد فترة على هيئة محصول وفير .

فقد اعتقد الإغريق أنهم إذا ما قاموا بواجبهم تجاه أسلافهم الموتى ، فإن الموتى بدورهم يظهرون عرفانهم بالجميل فى شكل محصول وفير يخرج من جوف الأرض ، مسكن الموتى إلى سطحها حيث يعيش الأحياء[٧٧] . ويتجسد ذلك الاعتقاد فى طقوس الاحتفال باليوم الثالث لعيد الأنثيستريا وهو ذلك اليوم المسمى بيوم « القدور »[٧٨] .

وترد الإشارة إلى « يوم القدور » أكثر من مرة فى مسرحيات أريستوفانيس ، وذلك فى مسرحية « أهل أخارنيا » والضفادع[٧٩] ورغم أن إشارات أرستوفانيس لا تمدنا بمعلومات ذات قيمة حول طبيعة الاحتفال بهذا اليوم ، إلا أن تعليق الشراح على هاتين الإشارتين يمدنا بالكثير . ففى مسرحية « أهل أخارنيا » ترد كلمة « القدور » فيعلق عليها الشارح بقوله :

« إنهم يقومون بسلق قدور تضم كل أنواع الحبوب ، ومن هنا سمى العيد بهذا الاسم . ولم يكن يسمح لأحد أن يذوق شيئا من هذه القدور » .

وفى مسرحية « الضفادع » يذكر أرستوفانيس كلمة «القدور المقدسة» فيعلق عليها أحد الشراح بقوله :

« ولم يكن أحد من الكهنة يذوق شيئا من ذلك القدر الذى يقوم بسلقه كل من فى البلدة » .

من هذه التعليقات يتضح بجلاء أن المحتفلين بعيد الانثيستيريا كانوا يقومون بتجهيز قدر يضم كل أنواع الحبوب فى اليوم الثالث . ولكن لماذا كانوا يعدون هذه القدور ؟

فسرت السيدة J. Harrison هذا الطقس فى بادئ الأمر على أنه عشاء لأرواح الموتى يجهزه المحتفلون فى نهاية العيد لتأكل منه أرواح الموتى ثم تعود مرة أخرى إلى عالمها بنفس راضية[٨٢] .

لكنها عادت وعدلت من نظريتها وفسرت طقس إعداد القدور المليئة بمختلف أنواع الحبوب تفسيرا مختلفا .

ترى السيدة جين هاريسون أن الأغريق تصوروا أن الموتى يأخذون معهم هذه القدور المليئة بالحبوب فى نهاية الاحتفال ، حيث تدفن فى باطن الأرض فترة من الزمن ، يتعهدونها خلالها بالرعاية والعناية ، لتعود بعد ذلك على هيئة ثمار وفاكهة[٨٣] .

لهذا تربط المعاجـم بين Pan Karpia , Pan . Spermia فكل منهما مرتبط بالآخر . فإن القدر المحتوى على كل الحبوب Pan - Spermia الذى أعطاه الأحياء للموتى فى الربيع يعيده الموتى على هيئة قدر يحتوى على الفاكهة Pan - Karpia فى الخريف[٨٤] ، وبذلك يكون كل من الموتى والأحياء قد أسهموا فى تلك العملية الزراعية .

ولقد تجسد إيمان الإغريق بقـدرة الموتى التى لا تحدها حدود فيما عرف فى الديانة اليونانية بعبادة الأبطال . والبطل من الناحية اللغوية هو ذلك الإنسان الذى يتمتع بقوة جسمانية تمكنه من التفوق فى ساحة الحروب ، لكنه فى العبادة يعنى تحول إنسان ، تمتع بمكانة خاصة فى مجتمعه ، إلى إله بعد موته[٨٥] .

ورغم أن معظم المجتمعات عرفت عبادة الموتى[٨٦] ، فإن ما ظهر فى المجتمع الإغريقى من « عبادة الأبطال » يبدو مختلفا . فقد اختلفت درجة القدسية التى أسبغها الإغريق على الميت ، باختلاف وضعه فى مجتمعه أثناء حياته ، فإن أكثر الأشخاص مهابة ، كالملوك والنبلاء والمحاربين وأولئك الذين قاموا بأعمال نافعة لذويهم ومجتمعهم ، هم الذين ينالون أعظم درجات التقديس والتبجيل بعد الموت ، حتى أنه يمكن القول بأنهم يصبحون آلهة[٨٧] .

وتذهب بعض النظريات التى تحاول تفسير نشأة الآلهة إلى أن معظم الآلهة الذين تتحدث عنهم الأساطير ، كانوا بشرا من لحم ودم ، وبعد موتهم نسى الناس تاريخهم الحقيقى وتحولت حياتهم إلى أسطورة[٨٨] . ولقد تمركزت عبادة الأبطال حول قبورهم ، التى أصبحت مزارات يهرع إليها الناس من كل فج عميق ، سائلين أرواح الأبطال المساعدة والمعونة[٨٩] . وكان الاعتقاد السائد فى بلاد الإغريق أن البطل لا يشمل بعنايته إلا البلدة أو المكان الموجود فيه قبره ، من هنا نستطيع أن نفهم سر تكالب كريون على دفن أوديب فى طيبة[٩٠] .

ويعتقد Gardner أن عبادة الأبطال كانت منتشرة فقط بين الطبقات الدنيا فى المجتمع الأغريقى ، وينكر إيمان الصفوة والطبقات العليا فى المجتمع بها[٩١]، إلا أن ما يرويه باوسنياس من مشاهدات أثناء رحلاته المتعددة فى أنحاء بلاد الإغريق وما شاهده من انتشار قبور الأبطال، يؤكد تغلغل هذه العبادة فى نفوس معظم الإغريق على اختلاف انتماءاتهم الطبقية والاجتماعية[٩٢].

ويؤكد G . Meautis وجود وانتشار عبادة الأبطال فى بلاد الإغريق طوال عصورها التاريخية[٩٣] ، بل أن بعض الدارسين يؤكدون أن عبادة الأبطال كانت أكثر تأثيرا وأكثر انتشارا من الديانة الرسمية الممثلة فى آلهة الأوليمبوس[٩٤] .

وحينما يتحول إنسان ما بعد موته إلى بطل ، كان يضاف المذبح إلى قبره حتى يتسنى لعابديه أن يقدموا له ما شاءوا من القرابين وكان يصور على هيئة ثعبان ينحت فوق شاهد القبر الذى يسجل عليه اسم المتوفى(٩٥) ، وقد يرمز الثعبان هنا إلى القوة والخطر ، كما يرمز إلى التجدد والتواجد الدائم(٩٦) ، ولقد اعتقد الإغريق أنهم إذا ما تضرعوا لأبطالهم فى أوقات الشدة فإنهم حتما سيقفون بجانبهم ويشدون من أزرهم كما كانوا يفعلون أثناء حياتهم .

وإن ما يرويه بلوتارخوس أثناء معركة سلاميس لهو خير دليل على ذلك الاعتقاد فقد حكى البعض أنهم شاهدوا سحابة ضخمة تخرج من الأرض وتعلو فى السماء لتهبط مرة أخرى فوق الأسطول الأثينى وتغطيه تماما . وقد أكد البعض أنهم لمحوا فى تلك السحابة ما يشبه الرجال المسلحين ، مادين أياديهم لحماية الأسطول ويعتقد البعض أن هؤلاء المسلحين لم يكونوا سوى أبناء أياكوس Aeacus الذين أقيمت لهم الصلوات ،وتضرع إليهم الأثينيون كى يمدوا لهم يد المساعدة فى حربهم الضروس(٩٧) .

ويذكر باوسينياس أن الميجاريين طلبوا يوما النصيحة من نبوءة دلفى فجاءهم الرد التالى :

« إن بلدكم ستزدهر إذا ما وافقت على التشاور مع من هم أكثر عددا » .

وقد ظن البعض أن النبوءة تطلب تغيير نظام الحكم فى ميجارا من النظام الارستقراطى إلى النظام الديموقراطى، لكنها كانت فى الحقيقة تشير إلى الموتى ، فهم الأكثر عددا . وبعد فهم النبؤة فهما صحيحا ،بنى الميجاريون سورا حول مقابر المدينة واهتموا بها وعمدوا إلى استشارة الأبطال فى أمور مدينتهم(٩٨) .

فالموتى لهم أياديهم البيضاء التى تمتد بالمساعدة للأحياء ، كما أن لهم أيادى تمتد بالبطش والأذى لمن لا يوقرهم ويظهر لهم الاحترام الواجب(٩٩) .

ولقد تزايدت مكانة قبور الأبطال بتزايد الشعور القومى ، حتى أن بعض العلماء ، يربط نشأة المهرجانات الرياضية والمسرحية بقبور الأبطال ، ويرى أن تلك المهرجانات كانت تقام بجانب قبورهم كنوع من التكريم ولإدخال السرور عليهم(١٠٠) .

وتحفل المصادر الأغريقية بأسماء العديد من الشخصيات التاريخية التى قدسها الإغريق بعد موتها وعبدوها كأبطال أو أنصاف آلهة . ومن أشهر هذه الأسماء اسم « ثيسيوس » مؤسس مدينة أثينا الجميلة ذائعة الصيت كما يقول عنه بلوتارخوس(١٠١) .

ومن الغريب أن أحدًا لم يلتفت لحادثة موت ثيسيوس فى جزيرة سكيروس Scyros ولم يكلف أحدهم نفسه مشقة معرفة هل مات مؤسس مدينة أثينا ميتة طبيعية بعد أن انزلقت قدمه فسقط من فوق الجبل حيث كان يتنزه كعادته ، أم أن أحدًا قد دفعه فسقط .

ولكن بعد فترة من الوقت ، تزايد الإهتمام به ، وهرع الجميع ليبحثوا عن رفاقه ليقوموا بدفنه فى أثينا ، وذلك بعد أن أكد بعض الأثينيين الذين كانوا يحاربون في موقعة ماراثون أنهم قد شاهدوا شبح ثيسيوس مدججا بالسلاح ، يقود هجومهم على أعدائهم(١٠٢) .

وبعد انتهاء الحروب الفارسية ذهب الأثينيون يستثيرون نبوءة دلفى ، فأخبرتهم الكاهنة بضرورة البحث عن عظام ثيسيوس العظيم ، لدفنها فى مدينة أثينا وسط ما يليق بمكانته من تقديس وإجلال .

لذلك قام كيمون Cimon باحتلال جزيرة سكيروس Scyros وقام بالبحث عن عظام ثيسيوس حتى وجدها . وعندما أحضرها على ظهر سفينته فرح الأثينيون فرحًا عظيما ، وأقاموا له قبرا ضخمًا فى قلب مدينة أثينا وكانوا يحتفلون بذكراه ويقدمون له القرابين والهدايا فى اليوم الثامن من الشهر الرابع فى السنة وهو ذلك اليوم الذى عاد فيه من كريت وبصحبته الشباب الأثينى ..(١٠٣) .

كما كرم سكان أمفيبوليس Amphipolis براسيداس بعد موته وأقاموا له قبرا ضخما وسط مدينتهم ، وكانوا يقدمون له من القرابين الكثير باعتباره واحدًا من الأبطال الذين انتشرت عبادتهم فى بلاد الإغريق(١٠٤) .

وفى بعض الأحيان عندما كان يموت أحد الأشخاص الذين يتمتعون بالشهرة والمكانة الخاصة ، كانت تتسابق المدن فى نسبته إلى نفسها ، وتقيم له أكثر من مدينة قبرا وتدعى كل منها أن القبر الذى شيدته له هو الذى يضم رفاته(١٠٥) . فأدراستوس على سبيل المثال – كان له قبر فى ساحة سوق سيكيون Sicyon(١٠٦) ، كما أقيم له قبر آخر فى مدينة ميجارا(١٠٧) .

كما كان أورفيوس أحد الأبطال الذين عبدهم الإغريق ، فبعد تمزيق جسده على يد الباخيات والقاء رأسه وأشلائه فى نهر هيبروس ، وصلت الرأس إلى جزيرة لسبوس Lesbos واستقرت فى أحد الكهوف حيث كانت تلقى بالنبوءات(١٠٨) أما بقية أشلائه فقد دفنت عند سفح جبل الأوليمبوس وأصبحت مقبرته مزارًا مقدسًا شهدت عبادته كبطل معبود(١٠٩) .

ولقد عبد الإغريق هراكليس كإله وكبطل فى نفس الوقت ، ويرجع السبب فى ذلك إلى أنهم نسبوا إليه مجموعة كبيرة من العبادات المحلية فكان يعبد فى بعضها كإله وفى بعضها الآخر كبطل(١١٠) بل أن بعض المناطق كانت تعبده كإله وكبطل فى الوقت ذاته ، فحينما تقدم له القرابين وتذبح من أجله الذبائح كإله ، يمكن للمحتفلين أن يأكلوا من لحمها كما يشاءون ، أما فى حالة عبادته كبطل ، فلم يكن مسموحا أن يذوق أحد شيئا مما يقدم له من قرابين(١١١) .

وتعكس أسطورة أوديب تلك العلاقة الوثيقة بين حياة الإنسان ومصيره فيما بعد الموت فقد عانى أوديب فوق ما يحتمل البشر ، وكتبت عليه الأقدار أن تكون حياته مليئة بالمعاناة .

لكن عند تحول أوديب بعد موته إلى بطل يهرع الجميع إلى قبره فى كولونوس(١١٢) ، وهو ما يؤكد أن الآلام المادية والعذاب فى الحياة ، لا يعنى دائما أن الآلهة غاضبة على ذلك الإنسان الذى يعانى فى حياته ، بل قد يكون العذاب هو الجسر الذى يعبر عليه الإنسان إلى الخلود(١١٣) .

إن تقديس الموتى وعبادة الأبطال التى مارسها الإغريق تجمع بين عالمى الأحياء والموتى فى تناسق وتناغم ، وتؤكد أن كلاً منهما مرتبط بالآخر إلى حد بعيد .

الهوامش

(١) أيسخولوس : حاملات القرابين ١٢٨ - ١٢٩ ، سوفوكليس : « أوديب فى كولونوس » ١٢٢٨ - ١٢٣٠ .

(٢) Bonnard, A.: Greek civilization p. 137,
Greene W.C.: Moira, Fate Good and Evil in Greek Thought, p. 10.

(٣) تذكر المصـــادر السومرية والبابلية أن الآلهة عشتار (انانا) والتى أصبحت زوجة للإلـــه تموز (دموزى) قد عزمت على القيام برحلة إلى العالم السفلى ، عالم الأموات الذى كان تحت سيطرة أختها الكبرى ايرشكيجال . تأهبت عشتار للرحلة واتخذت زينتها ، وعندما وصلت إلى البوابة الأولى من العالم السفلى جردها رئيس الخدم من تاجها وفى البوابة الثانية جردها من قرطيهـا واستمـر الحال كذلك كلما وصلت إلى بوابة من بوابات العالم الآخر السبع يجردها رئيس الخدم من شىء مما تلبسه حتى جردها فى البوابة السابعة من كل ما بقى عليها من ثياب . وبعد ذلك وجدت أختها إيرشكيجال جالسة على عرشها وأمام الآلهة السبعة الذين عرفوا باسم Anunnaki وعندما صوبوا نظراتهم القاتلة إلى عشتار أحالوها إلى جثة هامدة . وعندما شعرت الآلهة بغيبة عشتار أرسلوا « أنكى » إله الحكمة الذى يرجع إليه الفضل فى بعثها من الموت . تهيأت عشتار للخروج من عالم الأموات ومرت فى طريق عودتها بالبوابات السبع التى دخلت منها ، وكان يعاد إليها فى كل بوابة مـا سبق وأن أخذ منها ، وكان تاجها آخر ما رد إليها وهى تمر بالبوابة الأولى .

د . فاضل عبد الواحد : عشتار ومأساة تموز ص ١٠٧ - ١٢٥ ، صمويل نوح كريمر : أساطير العالم القديم ص١٠٢ - ١٠٢ .

(٤) Homer . ody, XI , 24 - 35 .

(٥) يوربيديس : « هيلينى » ١٣٠٤ وما يليه . انظر كذلك يوربيديس : الطروادیات ٤٤٢ - ٤٤٣ .

Muller, K. o.: History of literature pp. 230 - 231, Gaster T.H.: Thespis, Ritual, Myth and Drama in the Ancient Near East p. 97.

(٦) Farnell. L. R.: The cults of Greek states p. 114, Rose, H.J.: Ancient Greek Religion p. 91 - 92, kerenyi, C. The Gods of the Greeks p. 204.

(٧) Kerenyi, C.: Op. cit. p. 228.

(٨) Guthrie, W.K.C. Orpheus and Greeks Religion p. 52.

(٩) يوريبيديس : الكستس ٣٥٧ – ٣٦٢

(١٠) Bonnard, A. : Les Dieux de la Grece p . 163, Guthrie , W .K.C . op . cit. p . 43 .

د . عبد المعطى شعراوى : أساطير إغريقية . الجزء الأول ص٢١١ – ٢٢٤ .

(١١) Nilsson . M . p . : The Mycenaean origin of Greek Mythology p .205 , Gods and Heroes p .16 , Grant . : M . : Myhts of the Greeks and Romans , p .239 .

(١٢) Homer : Ody . XI . 623 .

(١٣) يوريبيديس : « هراكليس مجنونا » ٢١ – ٢٥ .

(١٤) Nilsson , M .P . : op . cit . p . 197 .

(١٥) Graves , R . : op. cit. , pp . 152 . 158 , Guerber . H .A . : The Myths of Greece and Rome pp . 200 - 202 .

(١٦) يوريبيديس : هراكليس مجنونا ٢٤ – ٢٥ ، يعتقد Graves أن كربيروس هو النظير الاغريقى لانوبيس المصرى Graves op. cit p. 124 .

(١٧) Nilsson . M . p . The Mycenaean origin of Greek Mythotology pp . 204 - 205 .

(١٨) يوريبيديس : « هراكليس مجنونا » ٧٣٥ – ٧٤١ .

(١٩) سوفوكليس : فيلوكيتس ١٤١٩ – ١٤٢٠

Levy 3. C. R.: The oriental origin of Herakles . "JHS , LIV , 1934 , pp . 42 - 44 .

(٢٠) ETMAN , A .M . : The problem of Heracles "Apotheosis of sophocles and in Hercules Octaeus of Seneca . p . 30 ff .

(٢١) The Epic of Gilgamish , Trans , by N .k . Sandars , p . 123

د . فاضل عبد الواحد على : عشتار ومأساة تموز ص ١٦٧ .

(٢٢) Cooke , H ,P . Osiris , A study of Myths , Mysteries and Religion pp . 137 - 138 .

أرمان : الديانة المصرية القديمة ٢٥٤ .

(٢٣) Gaster, T. H. op. cit. p. 28, Guhl & Koner: Op. cit. p. 282.

(٢٤) Frazer,J. G.: The Belief in Immortality and the Worship of the Dead, vol.1. p.15 .

(٢٥) Harrison, J.: Prolegomena p74.

(٢٦) Farnell, L. R.: The Higher Aspects of Greek Religion p. 66; Kerenyi, C. Dionysos, P. 304.

(٢٧) قام بنشر صورة هذه الآنية لأول مرة دكتور Paul Schafow فى بحث ألقاه فى فيينا عام ١٨٩٧ .

(٢٨) Kerenyi, C.: Dionysos pp. 302 - 303.

(٢٩) Harrison J: Prolegomena p. 43.

(٣٠) قارن أرستوفانيس : « الفرسان » ٧٩٢ .

(٣١) المصدر السابق ٤٤ – ٤٥ .

(٣٢) Gaster, T. H.: op. cit, p. 29, Harrison, J: Themis, A study of the social origion of Greek Religion p. 275.

(٣٣) Gaster, T. H.: op. cit. p. 29, Harrison, J: Themis, A study of the social origion of Greek Religion p. 275.

(٣٤) Harrison, J.: Prolegomena, p. 35.

(٣٥) Murray, G.: Five stages of Greek Religion p. 17.

(٣٦) Harrison, J.: op. cit. p. 39.

(٣٧) Harrison, J.: Ancient Art and Ritual; Rose, H. j. Ancient Greek Religion pp. 103 - 104; Nilsson, M.p. la Grece Antique p. 57.

(٣٨) Greene, W.C.: Moira p. 113.

(٣٩) المصدر السابق : « الفرس » ٦٥٤ .

(٤٠) المصدر السابق : « الفرس » ٦٢٣ – ٦٧٠ .

(٤١) المصدر السابق : ٦٨١ – ٦٨٥ .

(٤٢) المصدر السابق : ٦٨٤ – ٦٨٧ .

(٤٣) المصدر السابق : ٦٨٦ – ٦٨٧ .

(٤٤) المصدر السابق : « حاملات القرابين » ١٣٩ .

(٤٥) المصدر السابق : ١٥٦ .

(٤٦) المصدر السابق : « حاملات القرابين » ٤٥٩ – ٤٦١ .

(٤٧) المصدر السابق : ٤٨٩ .

(٤٨) المصدر السابق : ٤٤٥ – ٤٥٠ ..

(٤٩) المصدر السابق ٤٩٠ – ٤٩٥ .

(٥٠) المصدر السابق : ٤٠٦ .

(٥١) المصدر السابق : « حاملات القرابين » ٣٢٤ – ٣٣١ .

(٥٢) Devereux, G: Dreams in Greek Tragedy p. 213.

(٥٣) المصدر السابق : ٣٧ – ٤١ .

(٥٤) Devereux. G. op. citp. 191, Greene, W. C.: op.cit p.59

(٥٥) ايسخولوس : « حاملات القرابين » ٥٢٣ – ٥٣٣ .

(٥٦) سوفوكليس : « اليكترا » ٤١٧ – ٤٢٣ .

(٥٧) المصدر السابق : ٣٢٧ – ٣٢٨ ، ٦٣٤ – ٦٣٦ .

(٥٨) Farnell, L. R. Higher Aspects of Greek Religion. p. 88.

(٥٩) Ibid. p. 88.

(٦٠) Ibid p. 89.

(٦١) Plato: Laws IX, 865 - 876.

(٦٢) سوفوكليس : « أوديب ملكا » ٢٥ – ٢٧ .

(٦٣) المصدر السابق : ١٣٢ – ١٣٨ .

(٦٤) المصدر السابق : ١٣٢.

(٦٥) المصدر السابق : ١٨٢ – ١٨٥ .

(٦٦) المصدر السابق : ١٥١٧ .

(٦٧) سوفوكليس : أوديب فى كولونوس ٣٦٧ – ٣٦٩ .

(٦٨) المصدر السابق : ٥٧٦ وما يليه .

(٦٩) يوربيديس : هيبوليتوس ١٤٤٩ .

(٧٠) Farnell, L. R.: Higher A spects of Greek Religion p. 89.

(٧١) ايسخولوس : « حاملات القرابين » ١٤٧ – ١٤٨ .

(٧٢) المصدر السابق : ٤٧٩ – ٤٨٠ .

(٧٣) ايسخولوس : « سبعة ضد طيبة » ١٧٣ – ١٨٠ .

(٧٤) ايسخولوس : « الفرس » ٢٢٢ – ٢٢٣ .

(٧٥) Harrison, J.: Themis p. 310 Gardner. P. "Asepulchral Relief from Tarentum p. 126.

(٧٦) Harrison, j.: op. cit. 316.

(٧٧) Harrison, J: Myths of Greece and Rome pp. 51 - 52.

(٧٨) Harrison, J.: Prolegomena p. 50.

(٧٩) ارستوفونيس : « أهل اخارينا » ١٠٧٦ – الضفادع ٢١٨ .

(٨٠) Harrison, J.: Themis p. 290 .

(٨١) Ibid. p. 291.

(٨٢) Harrison, J: Prolegomena pp. 36 - 37 .

(٨٣) Harrison, J.: Themis/p. 292.

(٨٤) Edem: Ancient Art and Ritual p. 147 .

(٨٥) Harrison, J: Prolegomena pp. 333 - 334 .

(٨٦) Frazer, J. G.: The Belief in Immortality and the worship of the Dead, vol. I, p. 23. "To judge by the accounts we posses not only of savage and barbarous tribes, but of some highly civi lized people, the worship of the human dead has been one of the commonest and most influential forms of natural religion, perhaps indeed the commonest and most influential of all.

(٨٧) FrazerJ. G. p. 24., Meautis, G.: L'oedipe a Colone et le cults des Heros p. 10 .

(٨٨) Frazer. J. G. op. cit. p. 25.

(٨٩) Meautis, G. op.cit. p.12 "le culte des heros se centre autour de leur tombeau. Ce sont leurs tombes, leur ossements, leur depoiulle physique qui l'essentiel.son

(٩٠) Nilsson, M. P. La Religion populaire dans la Grece Antique p. 29.

(٩١) Gardner, p.: op. cit. p. 125.

(٩٢) Guthrie, w. k. c.: Orpheus and Greek Religion p. 41, Gods and Heroes pp.24.27 .

(٩٣) Meautis, G. op. cit. p. 23 "Neanmouis, tous les documents nous montrent que le culte des heros fut quelque chose de tres vivance en Grece pendant tout le cours de son histovie .

(٩٤) Gods and Heroes: American school of classical studies at Athens p. 23 "The popular cults of heroes seem often to have had for greater appeal than the official state cults represented by the monumental temples on the Akropolis.

(٩٥) Guhl & Koner: op. cit. p. 93.

(٩٦) Harrison, J.: Prolegomena p. 328.

(٩٧) Rlutarch: Themistocles, 15, Meautis, G.: op. cit. pp. 17 - 18.

(٩٨) Harrison, J: Prolegomena p. 352.

(٩٩) Nilsson, 14. p.: Greek piety p. 5., Meautis, G: op. cit. p. 15.

(١٠٠) Whitman, C. H.: op. cit., p. 192 ,
Harrison, J.: Themis pp. 212 - 213.

(١٠١) Plutarch.: Theseus ,. 1.

(١٠٢) Ibid, 35 .

(١٠٣) Ibid 36 .

(١٠٤) Meautis , G . : L'Oedeo a colone et le culte des Heros p . 11 .

(١٠٥) Nilsson M . P . : The Mycenaean origin of Greek Mythology p . 113 .

(١٠٦) Herodotus : V ., 67 .

(١٠٧) Nilsson , M . P .: op . cit . p . 113 .

(١٠٨) Harrison , J . Prolegomena pp . 464 - 465 .

(١٠٩) Cuthrie , W . K . C . Orpheus and Greek Religion p . 41 .

(١١٠) Nilsson , M . P . op . ciy . p . 205 "Heracles was venerated both as god and as a hero . This ambiguity is due to the fact that a series of small local cults were attached to him , some of these were cults of gods , others were hero cults" .

(١١١) Meauties , G . G . : op . cit . p . 17 .

(١١٢) Whitman C . H . : op . cit . p . 192 .

(١١٣) Greene W . C . : op . cit . p . 141 , Whithman , C .H . : op . cit . 194 .

خاتمة

من هذه الدراسة التى تناولت صورة العالم الآخر فى المسرح الإغريق نخلص إلى بعض النقاط الهامة حول تصور الإغريق للموت ، والعالم الآخر وحياة ما بعد الموت ، نوردها فيما يأتى :

لم تعرف كل الحضارات عادة دفن الموتى ، ولم تضف كل الشعوب هذه الأهمية على عملية دفن الموتى ، وانما تميز فى ذلك الإغريق والمصريون القدماء بصفة خاصة . ولكن بينما اهتم المصريون بالمحافظة على سلامة الجسد أملا فى البعث ، فإن الإغريق اهتموا بعملية الدفن حتى يتسنى للروح النزول إلى العالم الآخر ، ولم يرتبط ذلك بالمحافظة على الجسد ، لذلك لم يعرفوا طقس تحنيط الموتى .

اختلفت الطرق المتبعة فى الدفن باختلاف الحضارات التى عرفتها بلاد الإغريق ، لكنها جميعا أكدت أن حق الإنسان فى أن تدفن جثته حق طبيعى كفلته له الآلهة وأكدت عليه القوانين الوضعية .

تميزت طقوس الدفن فى البداية بالبساطة ، لكن الظروف الاجتماعية والاقتصادية التى سادت بلاد الإغريق فى عصر هوميروس ، أضفت الكثير من التعقيدات على هذه الطقوس : فبالغوا فى إظهار الحزن على موتاهم ، وأكثروا من الأثاث الجنائزى الذى يوضع مع الميت كما أسرفوا فيما يقدم له من قرابين ، حتى اضطر سولون إلى إصدار بعض القوانين التى تحد من مظاهر البذخ والإسراف فى الجنازات .

رغم ظهور بعض التيارات الفلسفية الإغريقية التى اعتبرت الموت النهاية المطلقة للوجود الإنسانى ، فإن الاتجاه العام مال إلى الإيمان بأن الإنسان يواصل حياته – على نحو ما – فى عالم آخر هو مملكة الموتى . ولقد كان هوميروس أول المصادر التى قدمت للإغريق بعض ملامح ذلك العالم وما يسوده من كآبة وظلمة وبرودة . ولقد أثر التصور الهومرى للعالم الآخر فى كل من جاء بعد هوميروس ، لكن بعض المذاهب الدينية المعروفة « بالأسرار » أسهمت فى تحديد معالم صورة العالم الآخر فى ذهن الإغريق . وبصفة خاصة فإن الأورفية – التى تأثرت إلى حد كبير بديانة المصريين القدماء قد أثرت فى تصور الإغريق للعالم

الآخر : فقد نزعت من نفوس الكثيرين الخوف الغريزى من الموت ورهبتهم من عالم ما بعد الموت . وظهر ذلك كأوضح ما يكون فى أشعار بنداروس الذى صور ما ينعم به الأخيار من ملذات ومتع .

من أبرز النقاط التى ظهر فيا تأثير الديانة المصرية القديمة على الفكر الدينى الإغريقى تصور الإغريق لأسس محاكمة الموتى لتحديد نوعية الحياة التى يحياها كل منهم فى العالم الآخر .

وتدل الاكتشافات الأثرية التى ترجع إلى الحضارتين المينوية والموكينية إلى إيمانهم بأن بعض الموتى يلقون مصيرا أفضل من غيرهم حيث ينعمون بحياتهم بعد الموت ، لكن لم يتم تحديد الأسس التى تتم عليها عملية محاكمة الموتى فى هاتين الحضارتين ، رغم تأثرهما ببعض الأفكار المصرية .

فى حين يجعل هوميروس من رضاء الآلهة أو غضبهم على الإنسان المقياس الذى يتم بناء عليه تحديد نوعية حياة الموتى فى هاديس : فإن من ينحدر من نسل الآلهة ينعم بحياته فى السهل الألوسى ، ومن يخطئ فى حقهم ينال أبشع أنواع العقاب . ثم صار تلقى تعاليم بعض المذاهب الدينية مثل الأليوسية من عدمه هو المقياس الذى تحدد على أساسه مصائر الموتى فمن يتلقى تلك الأسرار ينعم بحياته فى العالم الآخر ومن لم يتلقها ينال العقاب . ولم يظهر العامل الأخلاقى بوضوح إلا فى المذهب الأورفى – الفيثاغورى الذى ربط بين سلوك الإنسان فى حياته ومصيره فى العالم الآخر .

ولقد أثر هذا التصور الأورفى فى آراء أفلاطون كما انعكس فى كتابات شعراء التراجيديا الذين نلمح فى مسرحياتهم تأكيدا على أن آلهة العالم الآخر – خاصة الإله هاديس – يحاكمون الموتى ويحددون لهم مصائرهم فيما بعد الموت طبقا لأعمالهم فى الحياة الدنيا .

لم ينظر الإغريق إلى عالمى الأحياء والموتى كعالمين منفصلين ، بل تصوروا أن كلا منهما وثيق الصلة بالعالم الآخر ، فكل منهما يؤثر فى الآخر ويتأثر به . فالأحياء هم الذين يجعلون أرواح الموتى تستقر فى عالمها عندما يقومون بدفن الجثث ، كما يمكن لبعض المميزين من البشر النزول إلى العالم الآخر . لكن من يخل بالبنية الأساسية لأحد العالمين ، ينال عقابه فى العالم الآخر ، وهو ما يحدث لهراكليس .

أما تدخل الموتى فى حياة الأحياء فهو أسهل وأيسر ، فإن أرواحهم تطارد قاتليهم حتى ينتقموا منهم ، كما يبعثون بالأحلام المفزعة إلى من يرغبون فى تدمير حياته . لكنهم يبعثون بالخيرات لمن يوقرهم ويحافظ على قبورهم .

ولقد تصور الإغريق مثل بعض الشعوب الأخرى – إن الموتى يقومون بدور كبير فى العناية ببذور النباتات التى يقومون بزراعتها لتوفير الرخاء والخير العميم .

ولقد أضفى الإغريقى على بعض موتاهم – ممن كانوا متميزين فى حياتهم – الكثير من التقدير والتبجيل بل التقديس ، بحيث صاروا أبطالا يعبدون .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر الأصلية :

- Aeschylus 'Tragedics, Edidit H. Weil, Leipzig 1926.

- Aeschylus The Suppliant Women, Edidit N. Wecklein, Leipzig 1902.

- ___: Agamemnon, Edidit Robert Enger, Leipzig 1895.

- ___: Prometheus Bound, Edidit Dr. Ludwig Schmidt, Berlin 1870.

- ___: Seven Against Thebes, Edidit N. Wecklein, Leipzig 1902.

- Sophocles: Ajax, Edidit Ludwig Lg Bellermann, Berlin 1913.

- ___: Electra, Edidit Walff-Bellermann, Leipzig 1893.

- ___: Antigone, Edidit Walff-Bellermann, Berlin 1913.

- Euripides: Orestes, Edidit N. Wecklein, Leipzig and Berlin 1906.

- ___: Phoenician Women, Edidit N. Wecklein, Leipzig 1894.

- ___: Iphigeneia in Taurus, Edidit N. Wecklein, Leipzig 1904.

- ___: Electra, Edidit N. Wecklein, Leipzig and Berlin 1906.

- ___: Suppliant Women, Edidit N. Wecklein, Berlin 1912.

- ___: Helen, Edidit N. Wecklein, Leipzig and Berlin 1907.

- ___: Iphigeneia at Aulis, Edidit N. Wecklein, Berlin 1914.

- Poetarum: Scenicorum, Aeschyli, Sophoclis, Euripidis et Aristophanis Fabulae Superstites et perditarum Fragment. Ex Recondite: Guil. Dirdorfii, (Edidit Septima), London 1881.

- Homer: The Iliad, 2 vols, trans, and ed. A.T. Murray, London 1932 (Loeb Classical Library).

- The Odyssey, 2 vols, trans. and ed. A.T. Murray, London 1938 (Loeb Classical Library).

- Herodotus: Herodus, trans by Henry Carry, London 1904 (Bohn's Classical Library).

- Plato: The Dialogues of Plato, trans into English with an introd by. R. Dennis 2 vols. New York 1937.

- Plutarch: The Rise and Fall of Athens, Nine Greek lives by plutarch, trans with introd. By Ian Scott-Kilvert, London 1976.

- Thucydides: The Peloponnesian War, trans by Rex. Warner, with introd. And notes by M.L. Finely, London 1976.

ثانيًا: المراجـــــع

- **Adkins, A.W.H.:** Merit and Responsibility. A study in Greek Values, Oxford 1960.

- **Barnette, R.D.:** Elements Orientaux dans la Religion Greque, Paris 1960.

- **Bellessort, A.:** Athenes et son theatre, Paris 1934.

- **Bonnard, A.:** Greek Civilization, (From the Iliad to the parthenen), Trans by L. Sells, London 1958.

- ___: Greek Civilization, (From the Antigone to Socrates), Trans by L. Sells, London 1959.

- ___: Les Dieux de la Grece, Mythologie Classique Illustre, Paris 1946.

- **Boyance, P.:** "Dionysiaca, a propose d'une etude Recent sur L'initiation Dionysique", Revue des Etudes Anciennes, XXLI, 1914, PP. 105-118.

- **Bowra, C.M.:** Greek Lyric poetry, From Alcman to Simonides, (Second Revised Edition), Oxford 1961.

- ___: Early Greek Elegists, London 1938.

- **Brandon, S.G.F.:** The Judgment of the Dead. The Idea of Life after death in the Major Religions. New York 1967.

- **Budge, E.A.W.:** Egyptian Religion, (Egyptian Ideal of the future Life), London 1980.

- ___: The Gods of the Egyptians, Studies in Egyptian Mythology, New York 1969.

- ___: The Book of the Dead. An English trans. Vol. 1 (Second Ed), London 1977.

- **Butaye, S.T.:** "Les Dieux et le bonheur dans les tragedies de Sophocle". Les Etudes classiques, Tom XXXIV 1966.

- **Cooke, A.B.:** Zeus,: A study in Ancient Religion, Vol. 1, Cambridge. 1914.

- **Cooke, H.P.:** Osiris, A study in Myths, Mysteries and Religion, London 1931.

- **Dawkins, R.M.:** "The modern Carnival in Thrace and the cult of Dionysus", Journal of Hellenic studies, XXVI 1906.

- **Devereux, G.:** Dreams in Greek Tragedy, Oxford 1976.

- **Donaldson, J.W.:** The Theatre of the Greeks, London 1849.

- **Dickinson,** G.L.: The Greek view of life, London 1932.

- **Erman,** A.: Life in Ancient Egypt. Trans by H.M. Tirard, New York 1971.

- **Farnell,** L.R.: The Higher Aspects of Greek Religion, London 1912.

- ___: The Cults of the Greek States. Vol, III, Oxford 1907. Vol. V. oxford 1909.

- ___: The Attributes of God Oxford 1925.

- **Finley,** M.L.: The Ancient Greeks, London 1963.

- **Frazer,** J.G.: The Belief in Immortality and the Worship of the Dead. Vol. 1, London 1913.

- **Gaster,** T.H.: Thespis, Ritual, Myth and Drama in The Ancient Near East, New York 1950.

- **Gardner,** P.: "A Sepulchral relief from Tarentum" Journal of Hellenic studies, Vol. V. 1884.

- **Garton,** C.: "Characters in Greek Tragedy", Journal of Hellenic Studies. Vol. LXXVII, 1957.

- **Graves,** K.: The Greek Myths. Vol. 1, London 1957.

- **Guthrie,** W.K.C.: The Greeks and their Gods, Boston 1959.

- ___: A History of the Greek philosophy, Vol. 1, Cambridge 1978.

- ___: Orpheus and Greek Religion. A Study of the Orphic movement, London 1952.

- **Grant,** M.: Myths of the Greeks and Romans, New York 1962.

- **Greene,** W.C.: Moira, Fate, Good and Evil in Greek Thought, Cambridge 1944.

- **Comperz,** T.: The Greek Thinkers, A History of ancient philosophy, trans by L. Magnus, London 1969.

- **Guhl E., and Koner W.**: The life of the Greeks and Romans described from antique, monuments, trans by F. Hueffer, London N.D.

- **Harrison,** J.: Prolegomena to the study of Greek Religion, London 1980.

- ___: Themis, a study of the social origin of Greek religion, Cambridge 1927.

- ___: Myths of Greece and Rome, London 1932.

- ___: Ancient Art and Ritual, London 1937.

- **Hamilton,** E.: The Greek Way, New York 1963.

- **Hopper,** R.J.: Trade and Industry in classical Greece. London 1978.

- **Kerenyi, C.**: The Gods of the Greeks, London 1958.

- ___: Dionysus, Archetypal Image of the indestructible life, trans by R. Manheium, London 1976.

- **Kravitz, D.**: who's who in Greek and Roman Mythology, New York 1976.

- **Kramer, S.V.**: The Summerians, Their History, culture and character chicago 1963.

- **Levy, G.R.**: "The Oriental origin of Herakles", Journal of Hellenic studies, Vol. LIX, 1934.

- **Machenzie, D.A.**: Egyptian myth and Legend, New York 1978.

- **Meautis, G.**: Myths inconnus de la Greece Antique, Paris 1944.

- ___: L'oedipe a colone et le culte des Heros, Neuchatel 1940.

- **Muller, K.O.**: History of literature of Ancient Greece to the period of Isocrates, trans by Lewis-Donaldson, London (N.D).

- Murray, G.: Five stages of Greek Religion, London 1912.

- ___: A History of Ancient Greek literature, New York 1937.

- **Nillson, M.P.**: Greek Piety, trans. by H.J. Rose, Oxford 1948.

- ___: La Religion populaire dans la Greece antique, Traduit par F. Durif. Paris 1954.

- ___: Cults, Myths, Oracles and politics in ancient Greece, Sweden 1951.

- ___: The Minoan - Mycenaean religion and its survival in Greek Religion, London 1950.

- ___: The Mycenaean origin of Greek Mythology, Cambridge 1932.

- **Norwood, G.**: Pindar, Los Angeles 1945.

- **Oliva, P.**: The Birth of Greek Civilization, London 1981.

- **Olmstead, A.T.**: History of the Persian Empire Chicago Univ. 1948.

- **Rose, H.J.**: A Handbook of Greek literature, London 1948.

- ___: Ancient Greek Religion.

- **Reinach, S.**: Cults, Myths and Religions, trans by E. Frost, London 1912.

- **Sandars, N.K.**: (Trans) Poems of Heaven and Hell from Ancient Mesopotamia, London 1971.

- ___: The Epic of Gilgamesh, London 1975.

- **Spencer, A.J.**: Death in Ancient Egypt, London 1982.

- **Taylor, R.**: Introductory Readings in Metaphysics, New Jersey 1978.

- **Taylor, H.O.**: Ancient Ideals, and spiritual growth from early times to the Establishment of christianity, Vol. 1, New York 1930.

- **Whithman, C.H.**: Sophocles, a study of Heroic Humansin Cambridge 1951.

- **Scott-Moncrief.**: "De Iside et Osiride", Journal of Hellenic studies, Vol. XXVI, PP. 85-97. 1906.

- ___: Gods and Heroes in Athenain Agora, American school of classical studies it Athens. Athens 1980.

ثالثا : مصادر ومراجع باللغة العربية

- ادولف إرمان : ديانة مصر القديمة – نشأتها وتطورها ونهايتها فى أربعة آلاف سنة . ترجمة د . عبد المنعم أبو بكر – د . محمد أنور شكرى . وزارة المعارف العمومية إدارة الترجمة (بدون تاريخ) .
- ادوين بيفان : الفلاسفة اليونان : ما وفقوا فيه وما عجزوا عنه مقالة ضمن « تاريخ العالم » . ترجمة على أدهم المجلد الثالث – وزارة المعارف العمومية – القاهرة .
- ارسطوطاليس : كتاب النفس . نقله إلى العربية د . أحمد فؤاد الأهوانى – راجعه على اليونانية الأب جورج شحاته قنواتى – الطبعة الأولى ١٩٤٩ – دار إحياء الكتب العمومية .
- بلوتارخوس : عن إيزيس وأوزيريس . ترجمة د . حسن صبحى بكرى – مراجعة د . صفر خفاجة سلسلة الألف كتاب « رقم ٢٣٥ » .
- بييرمونتييه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامة . ترجمة عزيز مرقس منصور – مراجعة عبد الحميد الدواخلى . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٦٥م .
- سيرفلندرزبترى (و .م) : الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة . ترجمة : حسن محمد جوهر – عبد المنعم عبد الحليم الهيئة المصرية العامة لللكتاب – ١٩٧٥ .
- د . فاضل عبد الواحد على : عشتار ومأساة تموز . منشورات وزارة الإعلام الجمهورية العرقية سلسلة الكتب الحديثة (تحت رقم ٦٢) . بغداد ١٩٧٣ .
- زكى نجيب محمود – أحمد أمين : قصة الفلسفة اليونانية – القاهرة . مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثانية .
- د . محمود السعدنى : العلاقات المصرية اليونانية . مقالة ضمن مصر وعالم البحر المتوسط ص٤١ – ٥٤. دار الفكر – ١٩٨٦ .